كتاب

الوسطية

شواهد ومشاهد

الأستاذ الدكتور

عبد الحميد إبراهيم

٩

الطبعة الأولى

١٩٩٦

الطبعة الثانية

٢٠٠١

إعداد وتصميم

للطباعة وخدمات النشر

٦٠ شارع طه الديناري - الحي السابع - مدينة نصر - ت: ٢٨٧٥١١٦

وكما تختلط حروف الشواهد بحـروف المشـاهد، تختلط الذكريات. وهـي ترتـد بعيـداً، وكـأعمدة التلغراف، يراها المشاهد من نافذة قطار سريع.

الشاهد الأول

طيبة

المشهد الأول

-١-

ارتفع نشيجه في هدأة الليل، كان في أو ل أمره نشيجاً متقطعاً ومكتوماً، ثم انفجر عالياً ومتواصلاً.

كانت أمه تنام في الطرف الآخر من الغرفة، يحول بينها وبينه كومة من الإخوة والإخوات، استيقظت على صوت نشيجه، رفعت رأسها بتثاقل، وقالت:

- مالك؟!

- مش إنت مارضيتيش تديني واحدة جوافة؟!

- أهي جنبك، مد إيدك، وخدلك واحدة.

وغطت في نومها ولم تزد.

أما هو ،فلم يمد يده، ولم ينم حتى الصباح.



-٢-

وفى الضحى تصايح الأهل " عبد الحميد جاته الغمرة " كان يرفس برجليه، ويحط عليه عرق شديد، وتجحظ عيناه، ويتقلص فكه، ويتعالى شخيره، ويخرج من فمه لعاب كالزبد، ثم يغيب عن الدنيا.

تجمع حوله الأهالى، بعضهم يضمه إلى صدره، وبعضهم يربت على خده، وبعضهم يدعكه بالماء، وبعضهم يتلو عليه آيات من القرآن الكريم.

وأقبلت أمه متلهفة، تحمل كوباً من عصير الليمون، تناول رشفة منه، فأحس بالراحة، وأفاق من " غمرته ". ولكنه فى قرارة نفسه ود لو طالت غمرته، وود لو زادت لهفة أمه.

-٣-

فى المساء يتجمع الأهل حول نار " الكانون"، يشوون الذرة، ويمصون القصب، ويتندرون بالحكايات والنكات، ويضحكون.

كانت أمسية من أمسيات الشتاء القارس، والجو ملبد بغيوم

الحرب العالمية الثانية، والأهل يتناقلون الأخبار، ويلقون على أطفالهم أسماء الأبطال وقادة الحرب، كانوا يطلقون على أخيه الصغير "عبد الرحمن" لقب "الدوتش"؛ لأن شكله جميل، وجسمه ممتلىء مثل "موسوليني"، ويطلقون على أخيه الأصغر "عبد الستار" لقب "هتلر"، لأن شعرتين جميلتين، ترفرفان على جبهته.

وانتظر هو لقبه ولم يأت.

- ٤ -

وجاءه اللقب في يوم غير مرتقب.

اجتمعت النسوة من بنات خالته في ذلك المنزل الضيق، الوقت بين الظلام والنور، وقد انعكست ظلال المعبد القديم على المنزل، فزادت من وحشة المكان.

كن يتحادثن ويتسلين ويتضاحكن، وكان هو الصغير الوحيد بينهن، لا يشاركهن الحديث، ولكن ينظر إليهن بعين كعين "الصيرة".

وانطلقت إحداهن، تلقى الفزورة، التي سمعها الجميع مئات

المرات دون ملل:

- قد الحص وعينه تبص.

وبدلاً من أن تجيب إحداهن الإجابة المعروفة، بأنها "الترمسة" قالت بلا تردد، وهى تشير إليه:

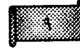
- ده عبد الحميد.

وتعالت ضحكاتهن وملأت الردهة، أما هو.فقد انكمش فى جلده كالترمسة.

-٥-

فى الصباح كانوا يتقرفصون حول الجسر الترابى، ينظرون إلى سيارات الإنجليز، وهى تثير الغبار. كان الآباء يقولون إنها ذاهبة لمحاربة الألمان، كنا ننظر إليهم فنراهم حمر الوجوه سماناً، كأنهم الخنازير البرية.

كانوا يلقون إلينا ببقايا البسكويت والحلوى، فلا نمد لها يداً، فأمهاتنا قد حذرتنا منها؛ لأنها نجسة مصنوعة من شحم الخنازير.



-٦-

كنا نسميهم عمال القنال، وهم مجموعة من أهل قريتنا سافروا إلى منطقة القنال. والتحقوا بالمعسكرات الإنجليزية، كانوا يروون لنا القصص عن الإنجليز، ويقولون: إن " الرابش"- ويقصدون الزبالة - يمكن أن يعيش عليها بلد مثل بلدنا.

ومع ذلك كانوا يحسون بالتفوق على الإنجليز، ويروون القصص عن شذوذهم، وكنت لا أصدق أن سادة متحضرين يمكن أن يقعوا فى مثل هذه الدنايا، وكنت أرى ذلك من خيال العامة، يصنعون قصصاً ينتقمون فيها من السادة الكبار.

حدثنى أحدهم بنبرة إعجاب، بأنه كان يسرق "سيجارة" كل يوم من علبة القائد الإنجليزى، الذى تنبه لذلك، ووضع فى العلبة ذبابة؛ لكى تطير حين يفتحها، ولكنه بذكاء ابن البلد، يفتح العلبة، ويضع فيها بدل الذبابة ذبابتين.

-٧-

كان أهل قريتنا يسمونه بالزعيم؛ لأنه استقبل النحاس على محطة السكة الحديد، وألقى بين يديه خطبة فصيحة فأعجب به،

وربت على كتفه، وقال له :"اذهب، فأنت زعيم" ،ومن يومها يسميه أهل القرية بالزعيم، وورث أولاده عنه اللقب، ويسمونهم "بيت الزعيم".

يروى أهل القرية حكاية أن سعد زغلول مر على بيت مضىء، ومعه مصطفى النحاس، فقال: "هذا بيت مظلم "، ثم مر على بيت مظلم ، فقال :"هذا بيت مضىء"، ولما سئل عن ذلك، أجاب بأن البيت مظلم ؛لأنه يخلو من الأطفال، أما البيت الثانى، فهو مضىء؛ لأن الأطفال يعمرونه.

-٨-

صورة لا ينساها. كانت عبارة عن منشور كبير، يتصدره الملك فاروق بنياشينه الضخمة، ووجهه الذى يشبه رغيف الخبز الطازج، وحوله عن اليمين وعن الشمال، الملك عبد العزيز، والملك عبد الله، وسيف الإسلام أحمد، والملك فيصل، وغيرهم من ملوك ورؤساء الدول العربية.

كانت المناسبة دخول الجيوش العربية أرض فلسطين؛ لطرد

اليهود من الأراضي المقدسة، كان الصغير ينظر إلى هؤلاء الملوك، بعضهم يحمل السيف، وبعضهم يحمل الخنجر، وبعضهم يحمل النياشين الضخمة، كلهم يبدون في مظهر القائد الجاد. كان ينظر إليهم، فيحس بالإعجاب، ويراهم ملائكة الله أرسلها لخلاص أرض فلسطين.

كان الجو مشحوناً بالإعلام، والصحف تتحدث عن الانتصارات، وتروى الحكايات عن الجنود السودانيين، الذين يتلقون الرصاص بصدورهم ولا يؤثر فيهم؛ لأنهم يضعون حجاباً واقياً ضد الرصاص، وكان الصغير يصدق كل هذا، ويتابع أخبار أبطال الفالوجة، ويتأمل صورة الضبع الأسود محمولاً على الأكتاف.

امتلأ الصغير إعجاباً بكل هذا، وصرخ في أقرانه: لماذا نجلس نحن هنا، نستظل بتلك الشجرة، والناس يقاتلون من أجل فلسطين، هيا اتبعوني لنتطوع في حرب فلسطين.

وانفلت الصغير منهم، وسار في خطوات سريعة فوق الجسر الترابي، ولكنه لم يعرف أين يتجه، حينئذ يرجع من طريق آخر، ويكتفي بقراءة الصحف، وسماع الأناشيد.

-٩-

كان يقف في الأصيل، ويتجه نحو الشمال، ويتنسم ريـح الصبا ويغني:

علـــــى دلعونا على دلعونا.

نسم يا هوا على اللى يحبونا.

كان بذلك يسترجع ذكرياته فـى فلسطين، كـان يتقن اللهجة الشامية، ونستزيد فيقول:

ياللى اترومبيلك شرطع فى الحاره.

خـــدينى معـــــاك، أنـــا أدارى.

الله ينجـــــــينا من دى الغاره.

ياللى اترومبيلك شرطع فى البقعه.

خدينى معـــــاك، قتلتنى السقعه.

الله ينجيـــــنا مـــن دى الوقعه.

-١٠-

كانت قريبة لنا، يعمل أبوها فى فلسطين، ولم يعد بعد حرب

١٩٤٨. وأخذت الشائعات تطمئن زوجه. فمن قائل إنه رآه ،وإنه سيعود، ومن قائل هو جريح ويتماثل للشفاء، ومن قائل إنه قد تزوج فلسطينية وأقام هناك.

وانتظرت الزوجة كثيراً، وداعبها الأمل طويلاً، حتى أسفرت الحقيقة عن وجهها الكالح. وأيقنت أن الرجل لن يعود. حينئذ لم تجد بداً من أن توزع البنات على الأقارب، وكانت "صفية" من نصيبنا، وجهها كرغيف الخبز الطازج، وسمرتها كطمى النيل وقت الفيضان، وعيناها كعش الزنابير.

كانت هى الفتاة الوحيدة وسط خمسة من الذكور فى سن المراهقة، والتهمتها النظرات، وامتدت إليها الأيدى.

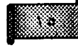
هو لا ينكر أن يده قد امتدت إليها مثل بقية إخوته، بل ربما قد طالت أكثر من أيدى إخوته.

ولكنه فى كل مرة كان يحس بالقشعريرة، وتجانحه مشاعر متضاربة، كان ينام فيرى فى حلمه كأن كلباً يرقد بجواره، أسود غزير الشعر يشبه القرد، يحتضنه فيحتضن الشوك، ثم يستيقظ من نومه فزعاً.

ولم يخلصه من هذه الأحلام سوى أن تمتد يده إلى الورق،

ويكتب قصة " صفية "، كان يومها غارقاً فى قراءة "المعذبون فى الأرض"، وهو يرى أن صفية واحدة من تلك المعذبات، هى قد لا تشعر بذلك، فقد كانت تجهل القراءة والكتابة، ولكنه يحس بمأساتها أكثر مما هى تحس، ويمسك بالقلم، ويعبر عن مشاعره، ويكتب قصتها، التى يودعها بين أيدى القارىء، كما كتبها منذ ذلك الزمن البعيد، ودون تغيير أو تعديل.





• شخصيات

الرشاد

والبيان الذي [illegible] الأفكار [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

*

قالت لي [illegible] كأنه [illegible]

— [illegible] ولكنه لا [illegible]

فنظرت إلى [illegible] الكثير [illegible] الكثير [illegible]

ثم [illegible]

و[illegible] ونظرت [illegible] !!

ودفتر كبير سماه بدر التمام في طلوع الشمس كالمصباح فتناوله [illegible]

[illegible] الإسلامي وهي دائرة [illegible]

[illegible]

[illegible]

يطول ويطول [illegible] وأفول الشمس

وتمتاز الأيام [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

إلى الرحم [illegible] ويغذونه [illegible] وكالمولد كبر بما [illegible] ثم تكون منه بطريقة

دماء [illegible] ودماء الرحم حيث [illegible] الكريات الحمر

وعمر الحياة بنسبة كالأمر [illegible] وهي لا [illegible] مدة الحياة شيئاً ولا [illegible] سبباً إلى

ذلك الرزوبة [illegible] إذ تنتقل إلى [illegible] شهر [illegible] البيض [illegible]

المغولي وكريات الدم

فصل

[illegible] الدم [illegible] إذ [illegible] الكريات [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ونزلنا دار ... [illegible] ... ونعطر ... [illegible]

والحمد ... [illegible] ... المجلس ... [illegible]

... [illegible] ... ووفود ... [illegible]

... [illegible] ... الأعمال

... [illegible] ... الحموية ... [illegible]

... [illegible] ... والحمد ... [illegible]

... [illegible] ... السرور ... [illegible]

الرياض ... [illegible] ... السرور وكم كان ... [illegible]

... [illegible] ... الأيام ... [illegible]

... [illegible] ... الأقبال ... [illegible]

وكانت ... [illegible] ... الدولة ... [illegible]

وأبهج ... [illegible]

[illegible] لا يقسمه إلا [illegible]

[illegible] عليه كل صفة

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

التي لا [illegible] نفس [illegible] كالإعصار

وأقبل سيد هذا [illegible] وأقبلت إليه [illegible]

واشتد [illegible] هذا [illegible]

[illegible] الموت السماوي وأرسلت [illegible]

وفي الليل [illegible]

[illegible]

[illegible] المنقول

[illegible] السلامة [illegible]

سـ

في نوم ضعيف [illegible] الأنوار [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

أمسك بـه أخـوه الأكبر يوسف، وقـال لـه: "انظر إلى الطيارة في السماء".

كـان يعرف هـذه الجملـة، التـي يقولهـا الكبـار للصغـار، حتـى يشغلوهم عن عملية الطهارة، وقد حذره منها أكثر من صديق.

لم يسـتجب لإغـراءات أخيـه، ولم يتطلـع إلى السـماء، ولم يبحث عن طيارة، بل أخذ ينظر بحسرة وخوف إلى أسفل.

ولكن يدا امتدت إلى رأسه، وشدته إلى أعلى، وثانية كتفته، وثالثة باعدت ما بين رجليه، وامتدت موسى الحلاق، لتلقـى بالغلفة بعيدا، وتناثرت الدماء، وانطلقت الزغاريد.

أمـا هـو، فقـد راح فـي إغمـاءة امتـدت طويـلا، يرغـى ويزبـد ويهلوس، ولكنه لا يستطيع أن يرفس.

ويقال إنه ظل في إغماءته أكثر من ثلاثـة أيام، يغيب ويفيـق ويشرب، ثم يغيـب ويفيـق ويشرب، حتى عافاه الله، وهـدأ نضـاخ الدم.



الوقت ظهيرة، وشمس الأقصر ساطعة، والدنيا أبيض فـــي أبيض كقلع المركب.

ومع ذلك تأتيه هذه الذكرى مضببة، وتبدو الشخصيات وكأنها تتحرك خلف "ناموسية" سرير.

كان فى الثانية من عمره، أو فى الثالثة على أكثر تقدير، فأخوه عبد الرحمن لا يزال رضيعا فى حجر أمه.

جلس الثلاثة فى صالة قريب لهم بالأقصر، هو الحاج مصطفى أبو حسين خال أمه، يبدو عليهم الذلة والانكسار، ويخمن أن أمه كانت غضبى من والده، وأنها قد تركت بيتهم فى القرية، ولجأت إلى قريبهم هذا فى مدينة الأقصر.

الوقت ظهيرة والدنيا حارقة، ويدخل الحاج مصطفى البيت، ويناول الصغير رغيف خبز " فينو ".

كان شكل الرغيف طويلا كالقمع، من الخارج أحمر مقمع، ومن الداخل أبيض منفوش كالقطن.



فرح الصغير بهذا الرغيف، فهو لم ير مثله فى قريته، وما إن تناوله ليقضمه حتى سمع لغطا من الحاج مصطفى وزوجه.

هو لم يفهم شيئا من هذا اللغط، وكل ما فهمه ولا يزال يذكره، أن أمه انتزعت الرغيف من فمه، وألقت به إليهما فى غمغمة وعصبية.

- ١٤ -

الوقت أصيل والجو جميل.

نزل من بيت قريبه ومعه بثينة.

هى ابنة قريبه الحاج مصطفى، كانت أكبر منه، بيضاء كالدمية، سمينة كالبطة، تنظر إليه من فوق، كمخلوق عجيب قد جاء من الريف.

كانت معه "مزيكة" من الصفيح الأحمر الجميل، وبها فتحات كثيرة، كلما يمر عليها فمه تصدر نغمات عذبة.

لا يذكر من تفصيلات المشهد كثيرا سوى أن حركة بهلوانية من بثينة، ضاعت بعدها مزيكته بين حشائش المنتزه، وسوى أمر منها بأن يعود إلى البيت، فقد حل المساء.

هو على يقين بأن بثينة قد استولت على مزيكته، ولكنه لا يستطيع أن يتكلم، فقد كان غريبا، جاءت أمه مطرودة من الريف.

ومن العجيب أنه ظل طيلة حياته يكره اسم "بثينة"، حتى في أشعار جميل، وكان يظنه اسما أعجميا لم يسمع بمثله في منطقتنا.

ومن العجيب، أيضا، أنه كلما مر على هذا المنتزه، حتى بعد أن كبر، كان ينظر بين الحشائش، علـه يعثر على مزيكته الحمـــراء.

- ١٥ -

كانت أمنيته أن تكون له ساعة يد، لا لكي يعرف بها الوقت، فهذا لا يهم في قريته، ولكن لكي يضعها في يده، ويتباهى ببريقها المعدني، وعقاربها النطاطة.

وحانت الفرصة، وجاء رجل يعمل مع الجيش الإنجليزي في القنال، وعرض ساعة للبيع، ولان الأب هذه المرة أمام توسلات الصغير، واشتراها.



لا يزال يذكر هذه الساعة. كانت جميلة براقة، عقاربها خضراء، وشريطها أحمر، وميناها أصفر لامع.

ولكن الأخ الأكبر محمد يدخل الحجرة في تلك اللحظة، ويرى الساعة ويريدها لنفسه، كان أشقر الشعر، أخضر العينين، نلقبه بـ"الحمريطى"؛ لأن وجهه أحمر، يلبس جلبابا أبيض من الحرير الناعم، ويضع في جيبه ساعة كبيرة، تتدلى منها سلسلة فضية زاهية.

ذكره الصغير بأنه يحمل ساعة، ولا يليق أن تكون له ساعتان في وقت واحد، ولم يحتمل من الصغير هذا التطاول. وأمسك بيد الهاون، وانهال على الساعة الخضراء، حتى أحالها إلى ذرات ساكنة.

-١٦-

وتصايح الأهل "عبد الحميد جاته الغمرة". كان يرفس برجليه، ويحط عليه عرق شديد، وتجحظ عيناه، ويتقلص فكه، ويخرج من فمه لعاب كالزبد، ثم يغيب عن الدنيا.



ولكن الأم لم تقدم له هذه المرة عصير الليمون، فقد كان الموقف حرجاً للغاية، فهي تعرف أن "محمداً" ليس شقيقاً للصغير، ولو عبرت عن مشاعرها لأغضبت الأب، وزادت الطينة بلة، فاكتفت بأن تقعى فى نهاية الغرفة مستسلمة.

وأفاق الصغير من إغماءته، وأيقن أن "الغمرة" لا تجدى فى استجلاب العواطف، ولكنه خرج منها بوجه جامد، وقلب كالصخرة أو هو أشد.

-١٧-

حتى الآن لا يعرف لغضبته الشديدة سبباً، كان يراجع مع أخيه الصغير "عبد المجيد" درس المطالعة، ثم استأذن منه قليلاً: لكى يحادث والدتهما، وفجأة يثور، ويندفع نحو أخيه، وينهال على وجهه بالصفعات.

-١٨-

ارتفع الصراخ من النجع المجاور، وقيل :إن " رفعت " قد مات، كان زميلاً له فى الكتاب يغيظه كثيراً، ويتحنجل أمامه.

ويلوح بعصاه فى وجهه.

وأقسم الصغير فى نفسه. بأن لابد أن يعلمه الأدب مهما طال الزمن. ويتعالى الصراخ من جديد، ويقال : إن رفعت قد لسعته العقرب، فمات.

ويحزن الصغير للغاية.

ولم يكن حزنه؛ لأن عقربا قد لسع زميله، ولكن لأن رفعت قد مات قبل أن يعلمه الأدب.

-١٩-

قسا قلبه على الدين. فأصبح لا يصلى ولا يصوم.

كان من قبل لا يكتفى بالصلوات الخمس، بل كان يصلى من النوافل مائة ركعة يوميا، ويزيد.

كان قد قرأ فى الأيام أن طه حسين، كان يصلى، وهو صغير، الفرض فرضين، فرضا عن نفسه، وفرضا عن أخيه الذى لا يصلى.

وهو أيضا قد اكتشف أن أخاه الكبير "يحيى" لا يصلى، فهو من طلبة المدارس الأميرية، مثل الإفرنج، عارى الرأس، لا يصوم

ولا يصلى، وأقسم من ساعتها فيما بينه وبين نفسه أن يصلـى الفرض فرضين، فرضا عن نفسه، وآخر عن أخيه، عسى الله أن يتـوب عليـه، ويهديه سواء السبيل.

أما الآن، فقد قسا قلبـه، لا يصلـى ولا يصـوم، ولا يتسـاءل حتـى عن السبب.

كـان والـده يـأمره بـالصلاة، فيصلـى بغير وضـوء، وكـانت أمـه تطلب منه أن يتلو "قل أعوذ برب الفلق"، فيصيح بها بأنـه لا يؤمـن بالحسد، وحـين وقعت أخته الصغيرة على الأرض، لم يسم عليها، وحين مات أخوه صلاح، لم يترحم عليه.

ضاق بكتب الفقه الصفراء، ورآها أفكارا بالية، لأناس قـد مـاتوا وأصبحوا رميما، أخذ يقرب منها المصباح الغازى، ويقول لنفسه:

"لو كانت صادقة، فلتمنع عن نفسها النيران".

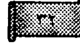
ولكـن ألسنة اللـهب تلتهمها، وهـو سعيد، كأنـه نـيرون يرقـص فرحا فوق خرائب روما.

كان يأتيهم كل عام فى الشتاء، لا يعرف اسمه، ولا يستطيع أن يتبين ملامحه، ولكنه أبدا لا ينسى حكاياته.

جاءهم هذا الشتاء مبكرا، وسقط عليهم من جبل "المدامود "، وأخذ يحكى بلهجة الواثق المجرب:

"الصحراء والجبال يا أولاد، مليانه غرايب، والجمل يا أولاد كتوم لا ينسى الإساءة أبدا، والمعروف ولو فى "تعبان" لا يضيع، اعمل المعروف وارميه البحر.

"مرة يا أولاد ضربت الجمل ضربا شديدا، فكتم ذلك فى نفسه حتى جاءته الفرصة، اختلى بى فى وسط الجبل، بلا رفيق ولا صديق، وهجم على، وكاد يقتلنى لولا أن هربت منه، ودخلت فى مغارة، ويا لهول ما رأيت فى تلك المغارة، رأيت عقربا صفراء كبيرة كالرحى، تدور حول ثعبان لتفتك به، فكان أن هجمت على العقرب برمحى، وقتلتها، نظر إلى الثعبان بامتنان، وتطلع نحو فوهة المغارة، ورأينا الجمل يقف فى منتصفها يرغى ويزبد، ولكن الثعبان بخ سمه فى الجمل، فمات فى الحال، حاولت أن أخرج من



الفتحة فلم أستطع، فقد تمدد الجمل أمامها، فأزحته برجلى. ولكن رجلى انغرست فى أحشائه، فقد تحول الجمل إلى شىء هش بفعل السم، انظروا يا أولاد.

وكشف عن ساقه، كانت مليئة بالجروح والتقيحات وبقايا الدماء المتخثرة، ولأول مرة لم يصبنى الاشمئزاز من منظر الدماء. كنت أنظر إلى جروحه، كما لو كنت أنظر إلى "نيشان" فوق صدر محارب أصيل.

-٢١-

بعدها أصبحت لا أخشى الثعابين، كنت أتسلق شجرة الجوافة، وأرى الثعبان فوق أغصانها، فتمتد يدى إلى حبة الجوافة، وأقطفها قبل أن يصل إليها.

وكنت أتجول فى حديقة والدى المهجورة، وأرى ثوب "الثعبان" المنقط، الذى انسلخ منه فى الحال، وأضعه حول رقبتى، وأتمتم بالتعويذة المحفوظة:

"لا تعادينى ولا أعاديك
وألقاك فى طريق السوق أسقيك"

-٢٢-

رأى أخته تطل من النافذة سعيدة تبتسم، ورأى أسفل النافذة رجلا يبادلها الابتسام، فغلت الدماء فى عروقه، كان لتوه قد سمع قصة شفيقة ومتولى، وأخذ يستعيد ما قاله متولى أمام القاضى.

"سأل متولى القاضى: ما حكمك على شجرة قد مالت على بيت الجيران؟ فأجابه: اقطعها".

وظن نفسه متولى، وأخذ يفكر فيما يقوله أمام القاضى ويعيد ويزيد.

ولكن النافذة قد أغلقت، وانسل الرجل بعيدا.

-٢٣-

كل صباح يحدثه "نوبى عبد المعطى" عن أحلامه التى يراها .

هذه الليلة رأى النبى وحوله هالة من نور.

وفى ليلة ثانية رأى آل البيت فى " حضرة " يذكرون ويتمايلون، وهو بينهم يذكر ويتمايل.



وفى ليلة ثالثة كان يجلس على بساط أخضر مع العمدة، وهما يتناولان شاى " الريشة ".

وحينما تزوج فاروق من ناريمان، كان يحدثه بأن الملك فاروق يفطر كل يوم على خروف يشوونه له، ثم يعصرونه فى كوب صغير.

وأصبح كل حلمه أن يصبح ملكا؛ لكى يفطر على خروف، وينعم بوجه ناريمان.

وبعد الثورة أصبح "نوبى عبد المعطى" مدمنا على سماع صوت العرب من راديو العمدة.

كان يقعد كل مساء أمام الراديو، ويصغى إلى " أحمد سعيد "، يبشر الفلاحين بالأرض والمياه والمنزل والكهرباء، حدثنى ذات صباح بأن عبد الناصر جاءه فى النوم، وحوله مجموعة من آل البيت، ثم ضمه إليه وأعطاه "صكا" بملكية خمسة أفدنة من أرض العمدة البحرية.

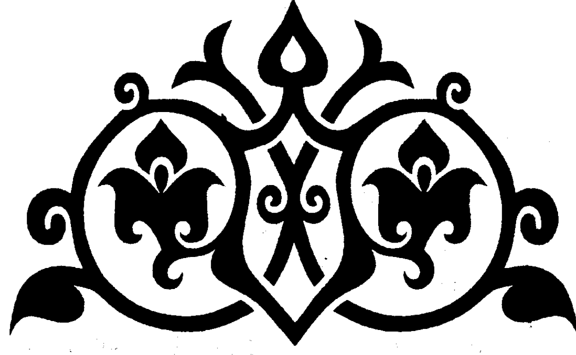
وعاش الحلم كأنه حقيقة، وأخذ يتطاول على العمدة، وينازعه الأرض.

وجئت القرية بعد غياب طويل، وسألت عن "نوبى عبد

المعطى".

كان يقيم منكسرا فى خصه الصغير، قد فقد إبهامه اليمنى، بسبب لغم فى السد العالى.

وكان البريق قد انطفأ فى عينيه، والأحلام لم تعد تواتيه.



المشهد الثاني

-١-

كانت الليلة مظلمة غامقة، والرياح ساكنة خانقة، والهواء تحول إلى كتلة سائلة من رصاص، لا تخترقها يد.

وجد نفسه يتشبث بسلم يتأرجح فى الهواء، كان السلم من "ليف" خشن، يتقاطع مع خشب من سنط.

وفجأة ينزلق من السلم، ويهبط فى قاع بئر عميق، ويجد عمه "الشيخ مأمون" مكتفا، وبجانبه ابنه على يسقيه ملعقة من ماء.

ويستيقظ من نومه إثر ضجة لا يتبين مأتاها، ويجـــد نفســه حزينـــا منكسرا، قد اختلطت صورة العم بصورته هو.

-٢-

ويـأتى الفيضـان، وتسيل المياه فـــى الأرض المتشـققة، وتبـدأ النصائح والتهديدات.

أمه تحذره من "الغولة" العجوز، التى تقف عند الشط، وتمد له يدا كأنها البلحة الحمراء، حتى إذا ما اقترب منها، غاصت به فى جوف الترعة.

وأبوه يحذره من النزول فى الترعة، ويأمر سيدنا بأن يرسم على فخذه علامة، عرف فيما بعد أنها نجمة داود.

ولم يكن يهمه تحذير الأم أو تهديد الأب.

كان يلقى بنفسه فى الترعة، ويسبح من شط إلى شط، مرة يعوم على جنبه كالبطة، وثانية على ظهره كعوم الكلبة.

كان لا يفكر فى العاقبة، إلا إذا خرج من الترعة. ورأى قميصه مبتلا، حينئذ يطرحه تحت أشعة الشمس الحارقة، ويناديه:

"قميصى انشف يا قميصى
لاحسن العجل ينطحنى
وابـويـا يضربنـــــى
وأمـــى ما تحوشه عنى"

ويستجيب القميص ويجف، ولكن العلامة على فخذه قد تبخرت، وتلوح عصا الأب فى الأفق.

-٣-

لمدة أسبوع عاشت العائلة فى رعب.

بعد صلاة العشاء، وبعد أن يخيم الظلام، تبدأ "الجن" عملها، تلقى بالطوب، وتثير الغبار، وتولول.

الصغار يحتمون بأمهاتهم، والأطفال يجرون، والنساء يصرخن، أما الرجال، فهم يحوقلون.

كانت الجن تخص أباه "العمدة"، بالنصيب الأكبر، تقذفه بالطوبة الناشفة، حتى يسيل الدم من وجهه.

استدعى الوالد "سيدنا" ؛ لكى يكبر ويطرد الجن، ولكن ما إن يبدأ فى الأذان، حتى ترميه الجن بالطوب والتراب، فيولى الأدبار.

كان مثل الجميع لم يفكر فى شىء غير الجن، حتى اعترف له ابن عمه "محمد أبو المأمون" بأنه وراء الموضوع، انتقاما من "العمدة"، الذى لا يسوى بين أولاده وأولاد أخيه.

وحين تتذاكر العائلة بين الحين والحين أسبوع الجن، كان يهمس إلى نفسه بأن شياطين الإنس أشد خبثا من شياطين الجن.



العفاريت أنواع، وأخطرها "الصل".

بتلك الجملة كـان يونـان عجـايبى يختـم بـها حديثـه عـن العفاريت.

ويونان عجايبى كان الخفير الخاص للعمدة، لا يذهـب للـدرك أو للحراسة، ولكنه يأتى كل مساء إلى ديوان العمدة، ينظمه ويعده للمبيت، ويقوم على شؤون أولاده.

كان يجيد رواية الأخبار والحواديت، ويعـرف سيرة العفاريت، فهذا عفريت "حصاوى" الذى وقع من النخلة، وهـذا العفريـت الذى يظهر بين كرم النخيل البحرى، يركب عربة كـارو، ويصدر منه صوت كـالجرس القـوى، وهـذا العفريـت الذى يلعب الحجلـة، وهذا العفريت الذى يظهر بعد منتصف الليل فـوق جـدول الميـاه، ولكـن أخطر هـذه العفاريت هـو الصل، الـذى يظهر فـوق الجسـر تحت السنطة، فيبطش بكل سائر.

حدثه يونان عجايبى مرة، بأنه كان يسير ليلا فوق جسر القريـة، فوجد خروفا صغيرا، فحمله أمامه فـوق الحمـار، وبعد أن سـار بـه

قليلا، تحدث الخروف، فعرف يونان أنه عفريت، فألقاه بعنف فوق الأرض، فأخذ الخروف يفتخر ويقول: "والله ركبه"، والخفير يجيبه ساخرا "والله ديس" [1].

كان الصبى يصغى إلى كل هذّه الحواديت، ويحس بأن الكوخ قد امتلأ بالعفاريت، ويضم "اللحاف" على كل أطرافه، حتى لا يتسرب أحدهم إلى فراشه.

ويذكر أنه قد كبر و عمل وتزوج وسافر، ولكنه ما إن يأت إلى القرية، ويذهب إلى السنطة البحرية، حتى يتذكر "الصل" ،ويصيبه الهلع.

-٥-

حدثت واقعة القتل، وهو فى سنواته الأولى بالأزهر الشريف.

لا يزال يذكر القاتل، فقد كان فى مثل سنه، أتى به الخفراء إلى ديوان العمدة، ثيابه ملطخة بالدماء، ويحمل الساطور الذى أهوى به على "عبد المولى".

---

(١) ديس: تعنى فى لهجة جنوب الصعيد "سقوط"، ربما كانت من: داس يدوس.

ويتهامس الناس بالحقيقة، ويعرف منها أن هذا الصبى الصغير لم يقتل، ولكنه يعترف بالجريمة. إنقاذا لأهله الكبار، الذين قتلوا عبد المولى أخذا بالثأر.

وحين سمع بأن القضاة قد حكموا على القاتل بخمس وعشرين سنة، أخذ يعد على أصابعه السنوات، ففى الوقت الذى يكون فيه القاتل قد خرج من السجن، يكون هو قد غادر القرية، وأصبح عالما كبيرا.

-٦-

كان من تقاليد الأخذ بالثأر أن يقتل كبير العائلة.

وكان والده كبير العائلة، وعاش الصبى فى خوف من أن يقتل والده.

كانت حجرته بجوار حجرة والده، وحين تزمجر الرياح فى ليالى الشتاء، وتخبط النوافذ، كان يخيل إليه أن هناك من يصعد الحائط المجاور للنافذة، لكى يقتل أباه.

كان أحيانا يفتح باب الحجرة ليطمئن على والده، ولم يكف



عن هذه العادة حتى نهره أبوه.

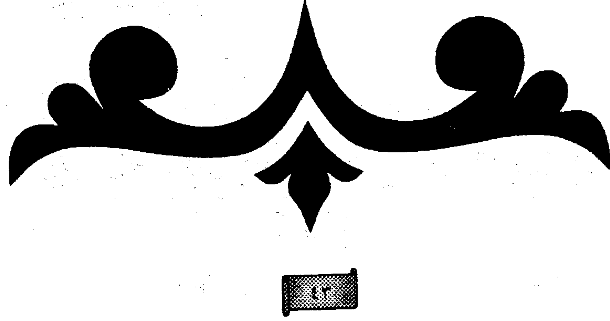
-٧-

حلم كان يعاوده فى ليالى الشتاء الموحشة.

كان يرى نفسه وقد صعد إلى سطح الدار، ثم زلت قدمه، وسقط حتى ارتطم بالأرض الصلبة.

كان الحلم يتم فى جو من الظلام، وزمجرة الرياح، ودبدبة أرجل كأنها العفاريت.

لم يصدق أنه حلم، فقد كان يحس بوجع فى جنبيه، وتظل نفسه كئيبة طيلة الليل، وحتى يرتفع الضحى.



المشهد الثالث

-١-

كانت المناسبة حفل صلح يجمع بين أهل قريته وأهل قـوص إثر مشادة عنيفة فى سوق الثلاثاء.

كان حفلا كبيرا يضم كبار العلماء والأعيان من البلدين.

كان لا يزال فى سنواته الأولى بالأزهر ، وألقى أول خطبة له فى حياته.

كان الموقف صعبا للغاية، لا يستطيع أن يتصدى له صبى صغير فى مثل سنه، ولكن واتته قوة لا يعرف من أين جاءته، فألقى خطبته الأولى، ونال الاستحسان والتصفيق.

وتوالت التعليقات لأكثر من شهر:

يقول أحدهم: لو أن لى ابنا مثله.

ويقول ثان: ليته كبير فأزوجه ابنتى.

ويقول ثالث: لو كان ابنى، لمنحته خمسة أفدنة.

ويقول رابع، ويقول خامس، ويقول سادس، والصبى ثمل مما

يسمع، وينظر إلى عين أمه، فيرى مدى الإعجاب، وينظر إلى يدها، فيراها تمتد إليه بحبة الجوافة.

ويعرف طريقه، لم يعد فى حاجة إلى "الغمرة": لكى يتجمع حوله الأهل والأقارب، ولكى تسعى إليه الأم حاملة عصير الليمون.

-٢-

ويحفظ القرآن الكريم فى أقل من عام، وكله أمل فى حفل الختام.

رشت عليه أمه الماء، وألبسه أبوه الطربوش الأحمر، والجلباب الملون، وأركبه أهله الفرس الأبيض، ومروا به فى دروب القرية بين زغاريد النساء واستحسان الرجال.

ومنذ ذلك اليوم أصبح "شيخا" يقبلون يده، ويقدمونه للصلاة.

-٣-

واستمر الأمر، وأخذ ينتقل من نجاح إلى نجاح.

أخذ ينتهز المناسبات، فيلقى الخطب فى الأفراح والجنازات.



لم يعد يكتفى بشهادات الأزهر، بل كان يسعى أيضا أن يضم إليها الشهادات الأميرية.

ولم يعد يكتفى بكتب الفقه وشواهد النحاة، بل أخذ يقرأ فى كتب الأدب، ويتعلم الإنجليزية.

وهو فى كل ذلك حريص على أن يكون "الأول" دائما، حتى يشار إليه بالبنان، وحتى يرى الإعجاب فى عين أمه، ويرى يدها، وهى تمتد إليه بحبة من الجوافة.

-٤-

يستحضر الآن صورة لذكر الأرنب، فى حوش الدار، فيرثى له، يرى الأنثى بفرائها الناعم، فيقفز إليها، وقبل أن يستقر يرى الثانية، فيقفز إليها، فيقفز على الثالثة، وإلى الرابعة، والخامسة، والسادسة، ويدور ويدور حتى يدوخ، ويقع على الأرض.

-٥-

كان شديد الإعجاب بطه حسين، يقرأ كل كتبه، ويحاكى أسلوبه، وينام فيكتب قصصاً على غرار قصصه.

وتقمص صورة طه حسين، فأخذ يتمرد على المشايخ حوله، وعلى "سيدنا" في قريته.

كان طه حسين يكتب في صحيفة الجمهورية عن "الخطوة الثانية"، ويسخر من الشيخ "النمر"، فأخذ هو يسخر من المشايخ وشيخهم النمر.

وكان يذهب إلى القرية، فلا يحرص على أن يزور سيدنا، ولا أن يقبل يده.

لم يكن المشايخ حوله كمشايخ طه حسين، ولم يكن سيدنا في قريته "كسيدنا" في كتب طه حسين.

فالمشايخ حوله كانوا يحدبون عليه، ويقبلون تمرده، وما سعوا يوماً في "إسقاطه" في الامتحان.

وكان سيدنا في قريته، يربت على كتفه، ويقدم له الطباشير الملون، وحبات الفول المملح.

لم يكن المشايخ حوله كمشايخ طه حسين، ولم يكن سيدنا في قريته "كسيدنا" في كتب طه حسين، ولكن الإعجاب بطه حسين جعله يبدي خلاف ما يبطن.

-٦-

ويضيق الصبى بلقب "الشيخ".

يذكر أن "الحاج سعدى" قال له مرة مداعباً: "مرحباً بالشيخ عبد الحميد"، فيغمغم فى وجهه بكلمات لا يستطيع أن يتبينها.

كان لتوه قد انتهى من قراءة "أهل الكهف"، وكان لا يزال يعايش موقف "مشلينيا"، وهو يثور فى وجه "بريسكا".

كانت تخاطبه بالقديس، وتحاول أن تتبرك به. فيخاطبها بأنه ليس قديساً، وأنه إنسان من لحم ودم.

ويثور الصبى فى وجه الحاج سعدى، ويخاطبه بأنه ليس شيخاً، وأنه إنسان من لحم ودم، ويزداد إعجاب الحاج سعدى بهذا الصبى، الذى يقول ما لا يفهم، فيربت على كتفه من جديد، ويقول له: "إنت بركة يا شيخ عبد الحميد".

-٧-

"كن كبراد الشاى يغنى، بينما هو يغلى".

لا يدرى لماذا يتذكر هذه الجملة الآن، وكل الذى يدريه أنه ما إن قرأها فى مجلة "المختار"، وهو فى قريته، حتى علقت بقلبه.



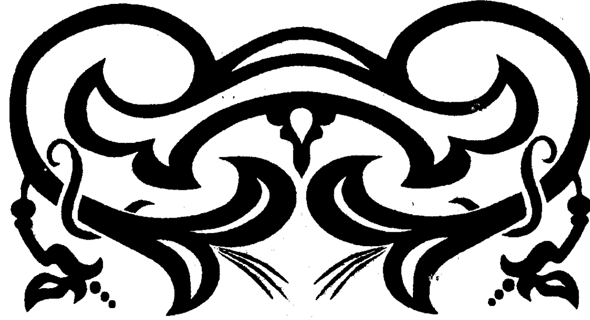
-٨-

حلم لا يزال يعاوده حتى اليوم.

يحلم بأنه سقط في الامتحان، فيستيقظ مرعوباً.

هو حلم قصير، ولكن يصيبه بحال من الاكتئاب، لا يستطيع الخلاص منها، حتى لو قرص نفسه.

يطمئن نفسه، وهو على فراشه، بأنه قد أصبح أستاذاً في الجامعة، يمنح الدكتوراه لطلابه، ولكن دون جدوى. فما زالت "العلقة" السوداء في داخله تفرز علقماً.



المشهد الرابع

-١-

رأى نفسه ومعه الأميرة فوزية، يتقافزان في كرم النخيل أمام داره.

دام الحلم طويلاً، وقضى معها ليلة سعيدة، وهما يتجولان، ويغنيان، ويرقصان من جدول إلى جدول.

مضى على هذا الحلم أكثر من ثلاثين سنة، وهو لا يزال يحفظ تفصيلاته، ويحس بالامتلاء كلما استحضر أشعة الضوء الزاهية، تملأ الأفق الشرقي، عقب هذا الحلم في ليلة صيفية ساطعة.

-٢-

قال لها، وهو ينفض النوم من عينيه:

- هناك واقع أكثر حضوراً من الواقع المحسوس.

قالت له باقتضاب:



- أتشير إلى حلمك مع الأميرة فوزية.

- أتغارين من حلم؟!

- ولكنه ليس حلماً، إن الأميرة فوزية أشد خطراً على من جارتنا الجميلة.

عندئذ تذكر ثرثرة توفيق الحكيم حول الفن والواقع، ثم همس لنفسه:

- لقد أدرك بيجماليون الحقيقة، وعرف أن عالم الفن أكثر إغراء من جمال زوجه.

-٣-

كان يحرك إصبعه فى الفضاء، وهو يعيد تشكيلات الهواء.

الناس حوله يثرثرون ويتشاجرون، وهو بينهم صامت يحرك إصبعه فى الفراغ.

كان قد تعلم لتوه الكتابة، واكتشف عالم الحروف.

الناس حوله تتكلم، وهو صامت يسجل كلامهم على ذرات الأثير.



كانوا يظنونه مخبولا، أو به مس.

وكان هو سعيدا منتشياً يعرف ما لا يعرفون، ويستطيع ما لا يستطيعه أبوه، ولا غيره من أشداء الرجال.

-٤-

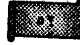
واكتشف صدفة "ألف ليلة وليلة"، فاكتشف معها عالمه الجديد.

كان يخاف الجن؛ لأنها ألقت الطوب على وجه أبيه فأدمته، فأصبح يحبها؛ لأنها تنقله إلى أرض "معروف الإسكافى"، ينال كل شيء فيها بالصلاة على النبى.

وكان يخشى العفاريت، ويمد اللحاف على رجليه، حتى لا ينفذ "الصل" إليه، فأصبح يحبها؛ لأنها تنحنى إليه، وتقول له: "شبيك لبيك".

كان محروما، فأصبح ضيفاً على موائد السندباد.

وكان فقيرا، فأتاه عبد الله البحرى بكنوز البحر، وعلى بابا بكنوز البر.



وكان مهيضا، فأصبح يركب بساط الريح، ويمتطى الحصان المسحور، ويتجول بين السحب، ويعاند النسور، ويرتفع فوق قمم الجبال.

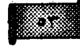
-٥-

اكتشف نوعا من العفاريت، يختلف عن العفاريت فى قريته.

كانت عفاريت قريته فظة، قاسية، وأخطرها ذلك "الصل" الذى يقبع ليلا عند السنطة البحرية، يقطع الطريق، ورقبة كل من يقترب منه.

أما هذا النوع الجديد، فهى عفاريت "كامل الكيلانى"، جميلة، زاهية، كأنها الفراشة تدندن حول زهرة البرسيم.

قرأ صاحبنا قصة "عفاريت اللصوص"، وعاش أجمل لحظاته مع الديك، والقطة، والكلب، والحمار، يتظاهرون بأنهم عفاريت، ويصيحون على اللصوص، ويحتلون دارهم، ويلتهمون طعامهم، حتى إذا ما اقترب منهم آخر الليل شيخ الحرامية، خربشه القط، ورفسه الحمار، وعضه الكلب، وصاح به الديك، وخرج شيخ



الحرامية لاهثا؛ ليخبر أصحابه بأن البيت قد سكنه العفاريت، منهم من يضربه بمخلب، ومنهم من يضربه بالعصا، ومن يضربه بالسكين، أما كبيرهم، فقد جلس فوق السطح يثيرهم ويشجعهم.

وصاحبنا يقرأ هذا، وهو شامت فى اللصوص، سعيد بذكاء العفاريت، معجب بوحدتهم، يود لأول مرة فى حياته أن يصبح عفريتاً مثل هذه العفاريت.

وقرأ صاحبنا قصة لا يذكر عنوانها، ولكنه أبداً لا ينسى عفاريتها، هى عن أخ وأخت، طردتهما إلى الغابة زوجة الأب، ودلهما طائر كبير كأنه الرخ، إلى بيت، حيطانه من كعك، ونوافذه من سكر، أخذا يقتاتان منه، دون أن يعرفا أنه بيت الغولة، التى خرجت تمد لها إصبعاً جميلاً، كأنه البلحة الزاهية، وتدعوهما إلى الداخل.. وتهمس إلى نفسها فى ليلة من الليالى، بأنها غداً ستشوى الأخ، فقد كبر، وأصبح سميناً، وتسمع الأخت همسها بالليل، وتبحث عن المخرج، حتى إذا ما كان الصباح، أمرتها الغولة بأن تشعل الفرن، ولكن الأخت تتظاهر بأنها لا تعرف، وحين تقترب منها الغولة، تدفعها بعنف إلى الفرن، وتقفل عليها الباب، ثم تسحب أخاها نحو البحيرة، ويحملها "الدرفيل" الطيب إلى البر

الغربى.

وصاحبنا سعيد بهذه النهاية، يحس بأنه قد انتصر على الغولة، وأنه أصبح قوياً لا يأبه بالعفاريت ولا الجن.

ويقرأ صاحبنا قصة أخرى، هو لا يذكر أيضاً عنوانها، ولكنها كلها كانت عن العفاريت، وعن الرياح التى تعوى، وعن الغيلان منكوشة الشعر، وعن الحمار الذى يطير، ولكنه يكتشف فى النهاية أن كل هذه الأشياء ما هى إلا سعف النخيل التى تتداخل، أو الأشياء التى تحركها الرياح أو البرق الذى يخطف الأبصار.

يقرأ صاحبنا كل هذه القصص، ويصير خلقا جديدا، يحب عالم العفاريت، ويعشق عرائس الخيال.

وحينما سافر صاحبنا إلى القاهرة أول مرة، وشاهد أفلام "ميكى ماوس" ، لم يجد غرابة فى ذلك، فقد عايش مثل هذه الرسوم من قبل، فى قصة "الأرنب الذكى".

وحينما سافر إلى لندن، وحضر أعياد الكريسماس، وشاهد "بابا نويل" يتحرك فى الشوارع، وسمع عن الأطفال الذين يرفعون الوسائد صباحا، ليجدوا تحتها هدايا بابا نويل، فقد زارهم مساء، وهم نيام، وأودع هدايا لهم تحت الوسائد، ثم ودعهم، وهو

يرسل قبلاته وتهانيه بالعام الجديد-حينما يشاهد صاحبنا كل ذلك، لا يجد غرابة، فقد عاش مثل هذه السعادة من قبل، فى قصص كامل الكيلانى.

عندئذ أدرك صاحبنا أن الخيال يستطيع أن يصنع جنة على الأرض مثل جنة بابا نويل، الذى يمسح الشوارع رحمة وحنانا، بلباسه الزاهى، ولحيته البيضاء كأنها القطن المنتوف، كما أنه يستطيع أن يخلق عالماً من الجحيم، مثل عالم "الصل"، الذى يقبع تحت السنطة البحرية، ويرسل شواظا من نار.

-٦-

وأحب الطبيعة والحيوانات.

ولم يكن حبه للطبيعة حب من يفتنه الجمال، بل كان فوق ذلك بكثير.

كان ينتظر البدر كأنه على موعد غرامى، يتمشى على جسر القرية، وقد فرش بالفضة، فيخيل إليه أنه يملك الدنيا وما فيها، وكان ينظر إلى شواشى النخيل، وهى تحركها الريح، وكأنها

كائنات حية تفضى إليه بأسرارها الخاصة، وكان يسير بين الكروم يحادثها وتحادثه، ويغنى لها وتغنى له، لا يذكر عدد المرات التى كان يتلو فيها أشعار الخيام، كان "حلمى مراد" قد أصدرها فى سلسلة "كتابى" فى طبعة مصقولة و أنيقة، ومزينة بصور تجسد عالم الخيال، وهو يقرأ، وهو ينظر إلى الصور، وهو يتأمل الطبيعة حوله، وهو يرى نفسه كأن زراً قد أدير، وكأنه قد انتقل من عالم الإنس إلى عالم آخر، كل ما فيه حب وشعر وغناء وسكر، لم يكن يعيش فى قرية "الزينية البحرى"، ومع هؤلاء الناس الذين بدوا أغلاظاً أجلافا، ولكنه أصبح يعيش فى عالم آخر من الكائنات الأثيرية الناعمة، ويشهد الله أنه حتى الآن لا يجد لهذا العالم بديلا. كان الأهل فى قريته يتحدثون عن "مصر" أم الدنيا، وكأنها جنة الله فى أرضه، وأصبح حلمه الكبير أن يرى أم الدنيا هذه، وكان يتحمل الكثير من أجل حلمه، كان أبوه يكلفه بأشياء كثيرة، ويغريه بأنه سيصحبه معه إلى مصر لو استجاب، وكان يفعل كل شىء من أجل مصر.

وحين زار القاهرة لأول مرة تهاوى حلمه، أين هى من هذا العالم الأثير، الذى اصطنعه لنفسه، إنه يعيش فى حدائق من صنع

الخيال، ويتأمل صورا لفتيات، يحملن جرار الخمر، يقدمنها للخيام، وهو متكىء تحت ظل شجرة... ينشد الشعر، وتتساقط على أقدامه أوراق الشجر.

-٧-

وظلت هذه الحالة تصاحبه طيلة عمره، هو قد زار أمكنة كثيرة وبلدانا عديدة، وتساقطت من ذاكرته كل التفصيلات عن الناس والأحياء، ولم يبق فيها سوى حالات من الطبيعة، هو لا يذكر من لندن سوى تلك البحيرة الفضية، التى تنساب وسط الهايدبارك، ولا يذكر من باريس سوى رحلته فوق مياه نهر السين، ولا يذكر من أمستردام سوى ترامها الأصفر، وزهورها المتناثرة، ولا يذكر من روما سوى حديقة الخالدين، ولا يذكر من نيروبى سوى حديقتها المفتوحة، ولا يذكر من الصين سوى مزارع الشاى.

-٨-

ولم يكن حبه للحيوانات حباً لكائنات تستحق الشفقة، كان يراها أصدقاءه وأخوته، يخفى مشاعره عن الناس، ثم يفضى بها

إلى الحيوانات، لا يستطيع أن يصور فرحته حين تضع كلبته جروا صغيراً، أو معزته جدياً جديداً. لا يزال يذكر جروه، وهو يفتح عينيه أمام ضوء الشمس، ولا يزال يذكر جديه، وهو يلعق زغبه الأصفر عقب الولادة.

لم يستطع ليلة أن ينام؛ لأنه سمع خربشة لقطة فى باب الدار، كانت الرياح تزمجر فى الخارج، وتضرب الباب بشدة، وكانت القطة تصدر مواء متقطعاً وحزيناً، وهى تحاول أن تدخل الدار؛ لكى تحتمى من الرياح، كان قد قرأ لتوه كلاما للمنفلوطى عن قطة تموء لأنها حبيسة، وكان المنفلوطى وفى هذا الكلام، يشير إلى الحرية التى لا تستغنى عنها حتى الحيوانات... وخيل اليه أن هذه القطة هى قطة المنفلوطى، واستعاد عبارات المنفلوطى، كان يستدر بها العبرات، وأصبح يبكى مع هذه القطة التى تخربش الباب، وتصدر مواء متقطعاحزينا، لم يعد يهمه كلام المنفلوطى عن الحرية، بقدر ما تهمه عبارات الأسى والرثاء، وظل يتألم تحت الفراش، ولم يستطع أن يتحرك، ويفتح الباب، وينقذ قطته، فقد كان يخشى العفاريت، ويخيل إليه أنها تخبط الباب، ولف "الغطاء" حوله، وظل ساهرا حتى الصباح.

ولم يشعر بسنوات المراهقة، فقد قضاها مع إحسان عبد القدوس، ومع أمين يوسف غراب.

وجد الغلام نفسه في عالم إحسان، فهو يكتب عن نموذج من النساء مقهور، لا يستطيع أن يحقق ذاته في واقعه، فيلجأ، كتعويض، إلى نوع من التمرد.

ولم يكن الغلام بطبيعة الحال من عالم النساء، فهو رجل مكتمل الرجولة، يشعر بما يشعر به سائر الرجال، ولكنه كان يندمج مع نساء إحسان، ويعايش معهن التحليلات النفسية، ويتابع عقدهن المرضية، لم تكن تستوقفه ما في رواياته من القبل التي ترسل، ولا الأنوار التي تطفأ، ولا المخادع التي تهتز، ولا النقاط التي يصنعها إحسان، ويملأ بها السطور، إشارة إلى المستور الذي يريد أن يخفيه، فقد كان في عالم إحسان ما يشغل عن كل ذلك، من أزمات تثار، وعقد تلفت الأنظار.

كان الغلام يحمل في داخله قدرا من التمرد، فهو لا يريد أن يندمج في عالم الكبار، ولا أن ينطبق عليه ما ينطبق على سائر



الناس، كان مثل شخصيات إحسان، يتمرد، ولكنه لا يستطيع أن يثور.

كان يعي تماما عاقبة الثورة، فهو قد جرب ذلك مرة فكان جزاؤه صفعة من والدته، وجربه ثانية فكان جزاؤه صفعة أخرى من ضابط الألعاب في مدرسته.

وقرر في داخله أنه لا يستطيع الثورة، ولا يضمن نتائجها، فكان يختزن تمرده، ثم يرسله تدريجياً وفي الوقت المناسب.

وظل هذا طابعه حتى اليوم، لا يستسلم ولا يساير، ولكنه لا يستطيع أن يجاهر، كان قد تعلم أن الغد كفيل بتحقيق ما لم يستطعه اليوم.

ووجد الغلام في عالم إحسان متنفساً لكل مشاعره، كان لا يقرأ عن امرأة، ولكنه يقرأ عن نفسه، لا يزال يذكر مشاعره، وهو يتابع بطلة "أنا حرة"، كان يحس بتمردها، وكان يتفهم استسلامها في نهاية المطاف.

انتهت الرواية، والبطلة على النقيض تماماً، فقد تخلت عن كبريائها، واستسلمت لرجل، واستعذبت تسلطه.

لم يكن في تلك النهاية شيء فجائي؛ فالبطلة لا تتمرد تمردا



صحيا، إنها تصدر عن عقدة مخزونة، وكبرياء مجروحة، والموقف المرضى لا يؤدى إلى التمرد الصحى.

وكان هذا هو الدرس الذى وعاه الغلام تماما، هو أن يتبين نوازع نفسه، وأن يدرك ظروف بيئته، فاكتسب قدرا من الوعى عن طريق الشخصيات المريضة فى عالم إحسان. هو لم يثر ولم يجابه، فهو قد جرب نتيجة كل ذلك، ولكنه أخذ يقاوم ويتحين الفرص، كان يعرف أن الطريق طويل، ولكنه كان يعى منحنياته ومطباته، وتعلم الدرس تماماً من النهاية التى آلت إليها بطلة "أنا حـــرة".

-١٠-

يقولون: إن أمين يوسف غراب يهدف من تصويره للجنس، إلى الكشف عن أثر هذه الغريزة فى تشكيل تصرفاتنا وتطلعاتنا، حتى نستطيع أن نصطلح مع تلك الطاقة الحيوية، ولكن الغلام لم يفقه هذا الهدف، أو لعله لم يتبينه على الإطلاق، كان كل ما يجذبه فى عالم أمين يوسف غراب، هو تلك اللوحات الفاتنة لتكوينات المرأة، وتلك الخطوط الحادة التى تكشف عن

تقاطيعها، وكان الغلام يقف بنوع خاص عند تلك الرسوم، التى تتناثر بين صفحات كتبه، لنساء ملفوفات السيقان، بارزات الصدور، تبدو على ملامحهن نداء الرغبة، وهو لا يزال يذكر صورة الغلاف لمجموعته القصصية، التى نشرها فى الكتاب الذهبى تحت عنوان "آثار على الشفاه". كان يتصدر الغلاف صورة لشابة ملفوفة السيقان، تضم على جسدها ملاءة تبرز كل مفاتنها، وهى تمسح آثاراً على شفاهها المكتنزة، وتسحب صغيرها الذى يتبعها فى ذلة وانكسار.

واستغرق الغلام هذا العالم، حتى أصبح يعشق المرأة، وهى بين دفتى كتاب أكثر مما يعشقها فى الواقع، قد يرى المرأة تبهره، ولكنه لا يسعى إلى التعرف إليها؛لأنه يستطيع أن يعايشها فى خياله وأحلامه.

وازدرى الغلام الجنس كحقيقة بيولوجية، قد يعشق المرأة، وقد يهز كيانه نداء الغريزة، ولكن ما إن يحس من إحداهن رغبة أو تلميحا، حتى يتلجلج وكأن ماء باردا قد صب على جسده الملتهب.

ولم يصطلح الغلام مع الغريزة خلال أمين يوسف غراب، ولا خلال غيره من دعاة الأدب المكشوف، وقد التقى بعد ذلك بأمين

يوسف غراب، فوجده يلبس الأصفر والأحمر، ويضع على جسده "كرنفالا" من الألوان الصارخة، فأدرك أن الاستعراض لا يخفى وراءه إلا الخواء، مهما تستر صاحبه وراء شعارات من الأهداف النبيلة.

إنما اصطلح الغلام مع الغريزة، بعد أن تزوج، واكتشف أن الجنس يمكن أن يكون سكنا ورحمة.

-١١-

ورآها، فكأنه رأى ست الحسن تطل من نافذتها.

وكانت تجسيدا لكل ما قرأ ولكل ما حلم، وأمامها تهون شخصيات أمين يوسف غراب، وتحليلات إحسان عبد القدوس.

لم يظنها فتاة من لحم ودم، بل ظنها العذراء تحيط بها هالة من نور.

هى قريبته "سميحة"، من أجلها كان يقطع على قدميه أكثر من سبعة كيلو مترات على الطريق، هى المسافة بين قريته وبين بيتها فى "الأقصر".

كان يأتي؛ لكى يجلس تحت نافذتها، ويتطلع إليها، كـان لتـوه قد فرغ مـن قراءة "الشاعر" للمنفلوطى، فظـن نفسه سـيرانودى برجراك ينشد الأشعار، ويرسل القبلات يحملها الهواء.

ولم يجـد وسيلة تواتيـه، إلا أن يكتـب إليـها رسـالة، وأمسـك بكتاب "الرسائل الغرامية" ، ونقل:

"حضرة من أحبـه واترجاه، ودايمـا فـى فكرى ولا أنساه، ولـو كان الأمر بإيدى، أرسـل لـه عيونـى فـى الخطـاب تـراه، حبيبتـى، وقرة عينى، ومهجة قلبى".

وجد العبارات باردة، فأزاح الكتاب جانبا وكتب:

"سيدتى:

اغفرى لى تطفلى وجرأتى، فلكم كنـت أود أن يكـون مـا بيننـا سراً مصوناً، وعهداً مقدساً ولكن:

ليه خليتنى أحبـــك   لا تلمـنى ولا اعاتبك

فين أهرب من حبك   روح منــــــك لله

وجـانى الـرد جـانى، ولم تسـعنى الدنيـا، امتطيـت السـحاب، وقبضت على أشعة القمر.

كـان خطابـها مشخبطاً، مليئاً بالأخطـاء الهجائيـة والإملائيـة،

كتبته يد طالبة فى الإعدادية، ولكنه أجمل عندى من كل التصاوير الهيروغليفية.

كانت تغريه بحبها، وتغنى له:

مادام تحب بتنكر ليه   اللى يحب يبان فى عنيه

استغرقته سميحة حتى النخاع، وحين قالوا له إنها هربت مع ابن الجيران، لم يصدق، ولم تهتز له شعرة، فالتى هربت هى سميحة أخرى، أما سميحته، فهى تعيش بين الضلوع. ولن يستطيع أحد أن ينتزعها منه.

-١٢-

ولأول مرة فى حياته يرى نوعا جديدا من الأحلام.

كان من قبل يرى فتى وفتاة، يقبل كل منهما الآخر، وهو ينتبذ ركنا قصيا، يتفرج من بعيد.

أما الآن، فهو يلعب دور كمال الشناوي فى الأفلام الغرامية، يستغرق مع فتاته فى قبلة طويلة، لم يذق أطعم منها طيلة حياته.

وفجأة تنتزعه يد من قبلته، وينظر إليها، فيراها يدا من حديد، وينظر إلى صاحبها، فيراه قردا من حديد، كله شعر كثيف، ويتهيأ



صاحبنا لمعركة ضارية وطويلة.

ولكنه يستيقظ من حلمه، وسعادته بخلاصه من القرد، أشد من سعادته بطعم القبلة.



المشهد الخامس

-١-

تأمل الصورة الوحيدة الباقية لوالده. كان يقف في منتصف الصف كأنه رمسيس. قد استقرت كفه بجانبه كأرنب. وامتدت أصابعه الطويلة، كل إصبع يتفجر منه اثنتا عشرة عينا، فقد كان. رحمه الله، كريماً معطاء.

وتناثر حوله الأبناء كأنه الملك عبد العزيز. هذا عبد الرحمن ينظر في زهو. وهذا عبد الستار ينكفيء على نفسه في لذة سرمدية، وهذا عبد المجيد يضحك في بلهنية غافلاً عن كل ما حوله. أما هو. فقد كان يحمل أخته الصغرى "صباح" فوق صدره. إنه يملك نبعا من الحنان، لو وزع على العالم كله، لوسعه، وانثالت عليه الذكريات.

هو يرى نفسه يوما فوق الجسر الترابي، ومعه الخادمة، يعودان من الطاحون، فيحمل عنها "مقطف" الطحين، حتى إذا اقترب

من الدار أعطاه لها، حتى لا تنهره أمه.

وهو يرى نفسه في يوم ثان يختلس من ثياب الأسرة، قميصا يعطيه لزميل له، لا يملك من الثياب إلا ثوب أمه يأتي به إلى المدرسة.

وهو يرى نفسه في يوم ثالث، يجري وراء عجوز، ويدس في يدها ستة قروش، هي كل ما يملك بعد أن سمعها تشكو لوالدته سوء الحال، ثم تبكي.

وهو يرى نفسه في يوم رابع يدخر من مصاريفه، ويشتري لأخته الصغرى ثوبا من المدينة، لا يزال يذكره ويذكر نقوشه الحمراء والصفراء، ولا يزال يذكر فرحته بهذا الثوب.

وهو يرى نفسه في يوم خامس يقتطع من "جرايته" في الأزهر قروشا، حتى إذا تجمع لديه الجنيه، أرسله في خطاب إلى أخيه "يحيى" في القاهرة، فهو يعرف أن حاجته إلى المال أشد من حاجته هو.

-٢-

قالت له:

- لم لا تدع هذا النبع يفيض؟ ولم تضع أمامه الحواجز والسدود؟

قال لها:

- ولكنك لا تعرفين، فقد حرموني حبة الجوافة، وهشموا ساعتي، وشبهوني بالترمسة الناشفة، ثم اقتصوا من غلفتي.



المشهد السادس

-١-

الفيل أبو زلومه ، قرب من الواد أبو دومه
ضربه بزلومته ، وقع على قورته
جات له مامته ، وعمته وخالته
مالك ، وأيه اللى جرى لك
الفيل ، أبو دم تقيل
كسر ضلوعى ، وسيح دموعى
أدوا له شكولاته ، وحتة بطاطه
لألأ ، مش عاوز ولا حته
أمال عاوز ايه؟ ، أصل عاوز يخلص حقه بأديه
طيب قوم ، وكفاية نوم
قام يجرى ، ع الفيل دوغرى
راح نط على ظهره ، وقضم ودنه
وبعدين راح لباباه ، ولعب تانى معاه
والتعلب فات فات ، وفى ديله سبع لفات



والفيل وقع فى البير ، أصله ولد خنزير

-٢-

اخترع حكاية "الفيل أبو زلومه" يقصها على صغيرته أريج. عسى أن تخلد إلى النوم.

ولكنه اكتشف بعد مرات عديدة، أن الصغيرة تعاند النوم.

قال له صديقه عبده جبير ساخرا:

-إنه شيء يطير النوم. ضرب ووقوع وتكسير ضلوع.

عندئذ تذكر حكاية "العقرب والتعبان"، التى كان يقصها العبادى فى دار أبيه.

وحينما رأى "بداوات" تجتاح أحيانا ابنه الكبير، يقول لنفسه هامسا:

- ما زالت شجرة الغضب تمد جذورها فى باطن الأرض.

-٣-

يقص أخوه الأكبر "يوسف" قصة "الوشم الأخضر" على ذراعه اليمنى:

"جاءت الحلبة، ونزلوا شرقى الدار، بعيداً عن الجسر، وأشعلوا النيران، سخنوا المسمار، تراجع خليفة وعربى ومحمد. أما أنا، فقد تقدمت، وكتمت خوفى، وكشفت ذراعى، وطبعوا لى الوشم الأخضر".

كبر يوسف، وأصبح أستاذاً فى الجامعة، وعميداً لكلية الآداب، وحاول أن يتخلص من الوشم الأخضر، فلم يستطع.

-٤-

كلما يتذكر قصة "الوشم الأخضر"، يتذكر حدوتة "قروية معلقة فى السماء"، التى تلتها عليه خالته "جليلة" مئات المرات، دون أن يمل سماعها.

فيه قروية معلقة في السماء [1]

جه الفار وقطمها

ليه يا فار؟

اشمعنى القط يا كلني؟

ليه يا قط ؟

اشمعنى الكلب يعضني؟

ليه يا كلب؟

اشمعنى العصا تضربني؟

ليه يا عصا؟

اشمعنى النار تحرقني؟

ليه يا نار؟

اشمعنى الميه تطفيني؟

ليه يا ميه؟

---

(١) القروية بكسر القاف وتسكين الراء: مقطف صغير يشبه البقجة، يضع فيه أهل الريف حوائجهم. ثم يعلقونه بحبل في سقف الدار، بعيدا عن الحشرات والحيوانات، فالمراد بالسماء هنا: سقف الدار، كما في الآية الكريمة : "فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع".

اشمعنى الحصان يشربنى؟

ليه يا حصان؟

اشمعنى الإنسان يركبنى؟

ليه يا إنسان؟

الرب مسلطنى!

-٦-

نظر إلى السماء، فوجدها سميكة لا تبالى، ثم تلا الآية الكريمة فى سورة الملك:

"ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير".

-٧-

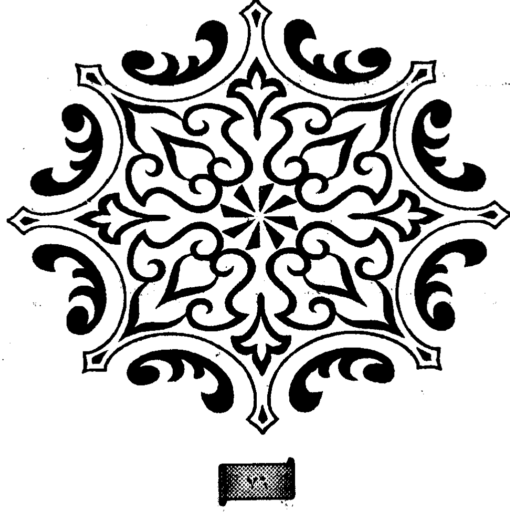
مسكين يحيى الطاهر، مات ولم يستطع الخلاص من الطوق والأسورة.

-٨-

كـان يجلـس فـى منتصف الليل على النـافذة. ينتظـر "وابـور الساعة/١٢" الذى يغادر الصعيد نحو الشمال.

يـأتى القطـار مضيئـا مشعـا، ويلمـح فيـه أناسـا يتحركـون، كأنـهم الكائنات الأثيرية.

يخفت صوته شيئا فشيئا، ولكن الصدى فى داخله يمـلأ كيانـه. ويود لو يخرج من إهابه.



الشاهد الثانى

القاهرة

المشهد الأول

-١-

قال له عمر الدسوقى، وهو يخطو أول خطوه فى دار العلوم:

- أنت مالك كده بنظارات، ونظارات كبيرة، دا إنت فى أول الطريق، حاتروح فين، إن شاء الله حتعمى قبل ما توصل نهاية الطريق.

كان يعلم أن بعينه اليمنى ضعفاً، يريد أن يخفيه، حتى عن أقرب الناس إليه، أما أن يشهر به عمر الدسوقى وأمام الطالبات، فتلك هى الطامة الكبرى.

-٢-

وذهب إلى بيته مكدراً، واندس تحت الغطاء، ورأى فيما يرى النائم:

"هو فى نفق مثل القمع الطويل، الأرض تعتصره، وهو يتلوى ويتحرك، كأنه يسبح فى محيط، وأخذ يحفر باطن الأرض بأظافره، وطال النفق، وهو يحفر ويحفر، حتى وصل إلى فتحة على سطح الأرض، أطل منها برأسه، فوجد أخاه عبد الرحمن يبتسم، ووجد الدنيا ملأى بنور، أشبه بنور الضحى، لا هو غامر، ولا هو غائم، ولكنه كاللبن المسكوب".

واستيقظ من نومه منشرح الصدر.

-٣-

ولم تعد "الغمرة" تواتيه، فهو فى الغربة بالقاهرة، وليس هناك من يربت على خديه، أو يقدم له عصير الليمون، ليس معه سوى أظافره، ولن ينتزعها منه أحد، وسوف يحفر فى باطن الأرض، حتى يصل إلى النور، الذى هو أشبه باللبن المسكوب، يستحم فيه، ويخرج متطهراً من كل شىء.

وظل طيلة حياته، كلما مرت به طامة كطامة عمر الدسوقى، يأوى إلى فراشه، ويعاوده هذا الحلم، ثم يستيقظ من نومه، وقد تطهر من كل شىء.

-٤-

كان الأزهر، وهو فى مرحلة الصبا، يتعرض لحملة ضارية فى الصحف والإعلام، وكان طه حسين، وخالد محمد خالد، وسلامة موسى، ينفخون فى هذه الحملة، ما بين مشهر وغامز.

كانت الأفلام المصرية قد اتخذت من الشيخ بزيه الأزهرى، وسيلة للإضحاك، هذه ليلى مراد فى فيلم "غزل البنات"، صغيرة فى سن المراهقة تسخر من الشيخ حمام، وتلعب بمشاعره.

وقد انعكس هذا على موقف الناس فى الشوارع، وكان الصغير يتجنب أن يمر فى الحوارى والأزقة، حتى لا يتجمع حوله الصبية، وينشدون "شد العمه شد".

كان الوحيد بين أخوته الذى اختار طريق الأزهر، على الرغم من تحذيرات أخيه الأكبر يوسف، كانوا يسخرون منه، فهم يستطيعون أن يرطنوا بالإنجليزية مثل الخواجات، وهو لا يستطيع.

وحاول أن يثبت لهم أنه لا يقل عنهم، فأخذ يتعلم الإنجليزية، ويحصل على شهادات الأميرية، بجانب الشهادات الأزهرية، ويتفوق فى الاثنتين معاً.



ولم ينفعه هذا، وازدادت ضراوة إخوته، وكلما ازداد تفوقاً، ازدادوا منه سخرية، وأخذوا يرددون بين الحين والحين ذلك البيت، الذى قرأوه عند طه حسين فى كتاب الأيام:

كأن عمامته من فوق هامتهِ   شنفٌ من التبنِ محمولٌ على جملِ

وازدادت حيرته.

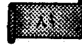
فهو قد أثبت جدارته فى التعليم الأزهرى، ودائماً هو الأول على مجموعته، وأبوه راض عنه، يقربه إليه، والناس يقبلون يديه، وأمه فخورة به، تواليه بين الحين والحين بحبة الجوافة.

ولكن الدنيا كلها ضد الأزهر وضد المشايخ، حتى الأطفال فى الشارع، وحتى إخوته فى البيت.

وخيل إليه أن خلاصه فى دار العلوم، فهى تتبع الجامعة، وأهلها يلبسون الزى الإفرنجى، وهى تخلط بين الطلبة والطالبات، وربما يرى لأول مرة فى حياته فتاة تتحدث بكلام سيبويه، وتلوى فمها؛ لكى تنطق الضاد، وتنشد المعلقات.

-٥-

كان الدكتور مصطفى زيد يأتى إليهم صباحا، ويأخذ فى تفسير



سورة الأنفال. ويستفتح بقوله تعالى: "يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول".

ثم يقف ويأخذ في الحديث عن الكرة، ويشرح بتلذذ الضربة الأخيرة التي سددها الأهلي، فقد كان، رحمه الله، "أهلوياً" متعصباً.

كان يصر دائماً على أن تكون البنات في الصفوف الأولى، وكان يقضي الوقت معهن في الحديث عن الشؤون العامة، وعن الأهلي والزمالك، أما نحن الأولاد، فقد كان يطردنا إلى الصفوف الأخيرة، وكأننا إبليس قد طرد من رحمة الله، وكنا سعداء بذلك، نتسلى بالحديث بعضنا مع الآخر، ونختلس النظر إلى الصفوف الأمامية، ونحن على اطمئنان، فالامتحان لن يخرج عن "المقروء"، والمقروء لن يتجاوز بإذن الله الآية الأولى من سورة الأنفال.

وينظر الأستاذ إلى ساعته، ويجد الوقت قد قارب على الانتهاء، ويتخذ سيماء الجد، ويأخذ في إتمام الآية الأولى، ويتلو: "فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين".

ثم ينصرف، والبنات يحطن به، كما يحيط القطيع بالأسد الهصور.

-٦-

الدكتور على الجندى يقرأ فى كتابه "شعر الحرب"، ويستخرج وجه الشبه بين عين الحبيبة وعين البقرة الوحشية، وتستنكر إحدى الطالبات أن تكون المرأة مثل البقرة الوحشية، ولكن الدكتور على الجندى يخبرها بتجهم بأن عين البقرة الوحشية لامعة وواسعة، وليس مثل عينيك "معمصة"!!

كانت الدعابة جارحة، وقد نظر صاحبنا فى عين الطالبة، فوجدها أكثر صفاء من عين البقرة الوحشية، مع أنه لم ير طيلة حياته بقرة وحشية، وما أظن أن الدكتور على الجندى نفسه، قد رآها من قبل.

-٧-

عباس حسن دائماً يثور على النحو القديم، ويهاجم المثال التقليدى "ضرب زيد عمراً"، ويورد مثلاً جديداً هو "قطف الطفل



الوردة".

قال لنفسه وفي نفسه:

- أن يضرب زيد عمراً، تلك قضيتهما، أما أن يقطف الطفل الوردة، فتلك قضية تمس الذوق العام.

-٨-

وتهاوت أحلامه في دار العلوم.

في دار العلوم كتب ضخمة، وتحمل عناوين كبيرة مثل الأسس والمبادىء والمداخل، ولكنها لا تحوى الجديد.

دار العلوم تعرض آراء الجاحظ وابن قتيبة وابن رشيق، أو آراء سيبويه وابن هشام وابن جني، أو آراء الفارابي والكندي وابن رشد، ولكنها لا تزيد.

دار العلوم تكثر من الاقتباسات، وتلحم بين الاقتباس والآخر، بحرف الواو أو الفاء أو لكن. وقد تقوم بالشرح وتوضيح المفردات، وقد تقدم تعليقاً خفيفاً، ولكنها على أي حال لا تقدم فكراً مستقلاً ولا وجهة نظر.

فى دار العلوم تجديد، ولكنه شكلى، يضع مثال "قطف الطفل الوردة" محل مثال " ضرب زيد عمراً ".

فى دار العلوم نهضة، ولكنها لا تخرج عن أحاديث الشؤون العامة، ومعارك الأهلى والزمالك.

فى دار العلوم اختلاط بين الطلبة والطالبات، ولكنا كنا نخشى "المعيدين" فقد يكتشف أحدهم وقوفنا مع "طالبة"، فيتمعر غيظاً، ويتكدر غضباً.

-٩-

عاد الدكتور غنيمى هلال من فرنسا، وأصبح حديث الطلبة والطالبات، يشيدون بعلمه الغزير، ويتحدثون عن معرفته بكثير من اللغات، وعن صلته بالعقاد، ويصلون فى ذلك إلى حد الأساطير.

وكان كل هذا الحديث يصل إلى صاحبنا، فيقرع سمعه، دون أن يصل إلى قلبه أو عقله.

كان غنيمى هلال، رحمه الله، قصيراً، يقف دون المنصة، ويكاد لا يبين، ثم يأخذ فى كلام سريع ومتداخل، ويقفز من



موضوع إلى موضوع، ومن مصطلح إلى مصطلح، وتتوارد على لسانه أعلام من فرنسا وإسبانيا وإيطاليا وإنجلترا، ومن الفرس والترك والعرب، والطلبة يلغطون ولا يفهمون، ثم يصلون إلى قناعة، أنهم ليسوا في مستوى ما يقال.

في إحدى المرات، وفي مدرج علي مبارك، كان المدرج واسعاً وكبيراً، تصعب السيطرة عليه، قد امتلأ حتى نهايته بالطلبة والطالبات، وهم يلغطون ويشوشرون، وكان صاحبنا يقف في نهاية المدرج يبحث عن مكان، وكان أن لمحه الدكتور غنيمي هلال من بعيد، فاستشاط غضبه، ونهره، وأمره بالخروج، ولكن صاحبنا يقترب من الدكتور غنيمي هلال ليعتذر له، وكان المنظر متناقضاً مثيراً للدهشة، الطالب طويل ينظر إلى أستاذه من فوق، والأستاذ قصير ينظر إلى طالبه من تحت، ولم يحتمل الأستاذ هذا المنظر، فأنهاه بسرعة، ودون أن يستمع إلى الاعتذار، وأمر الطالب أن يخرج فوراً من القاعة، فسحب أوراقه، وجر نفسه نحو الخارج، وكان سعيداً أن سمع إحدى الطالبات تقول: "والله يا أستاذ دا راجل طيب".

قرأ صاحبنا كتب الدكتور غنيمي هلال، فوجدها مليئة



بالإحالات والنقول، متخمة بالمصطلحات الأجنبية، والأعلام الأعجمية، يجمع الآراء من هنا وهناك، ثم يحاول أن يوصل بينها بحرف الواو أو الفاء أو لكن، وحاول صاحبنا أن يبحث عن الدكتور غنيمي هلال بين هذا الركام، فوجده يكاد لا يبين.

هو في نظره لا يختلف عن الدكتور أحمد بدوى، كل منهما يجمع، ويقص، ويلصق مع فارق يسير، وهو أن الدكتور بدوى يجمع من العرب القدامى، أما الدكتور غنيمى هلال، فهو يجمع من الحداثة الأوربية.

قرأ صاحبنا كتاب الدكتور أحمد بدوى "أسس النقد الأدبى عند العرب"، فوجده يجتهد فى قراءة المكتبة العربية، ويستخلص أفكار الجاحظ والجرجانى وابن رشيق وابن قتيبة، ثم يصنفها، ويضع لها العناوين، ييسرها للطالب.

وقرأ صاحبنا كتاب الدكتور محمد غنيمى هلال "المدخل إلى النقد الأدبى الحديث"، فوجده يجتهد فى قراءة المكتبة الأوربية، ويستخلص أفكار سارتر وبلزاك وزولا وفولتير وديكارت، ثم يصنفها، ويضع لها العناوين، وييسرها للطالب.

وتساءل صاحبنا بعد ذلك كله عن سر الضجة، التى تصل

بالدكتور غنيمى هلال إلى حد الأسطورة، وأجاب نفسه وفى نفسه:

-إن دار العلوم لم تبرأ كذلك من عقدة الخواجة.

-١٠-

ودخل عليهم الدكتور بدوى طبانة، يشرح لهم فى كتابه "البيان العربى" حتى وصل إلى قول الشاعر:

ألا أيها النوام ويحكمو هبُّوا أسائلكُمْ هل يقتل الرجل الحبُّ؟!

وقال لهم: إن هذا البيت أوله جزل، وآخره رخو، فالشاعر يوقظ الناس من "عز" النوم، ليسألهم سؤالاً تافهاً.

وتذكر خطابه إلى "سميحة"، وتلا مطلعه:

"سيدتى:

اغفرى لى تطفلى ، وجرأتى، فلكم كنت أود أن يكونَ ما بيننا سراً مصوناً، وعهداً مقدساً، ولكن:

ليه خليتنى أحبك".

وأدرك أن هذا الخطاب أوله جزل فى عبارات قوية، وآخره

رخو في أغنية شائعة، وأ مسك به ومزقه، وتهاوى تمثال بيجماليون، وتهاوت معه أحلامه في دار العلوم.

-١١-

وسقط صاحبنا مريضاً، وهو في السنة الثالثة من دار العلوم. التهب القولون، واسودت الدنيا في وجهه، وأصبح يسمع صفيراً في أذنيه، وتورمت أعصابه.

كان يسكن بجوار المشرحة في حي زينهم، ويستيقظ كل صباح على الصراخ والعويل، ويخيل إليه أن النساء يندبنه، وكاد يجن لولا "ديل كارنيجي" ، و "أبو القاسم الشابي".

-١٢-

كان يهوى قراءة كتب علم النفس، وكانت هناك سلسلة تحت عنوان "المكتبة النفسية"، تصدر كتباً عن الخجل وعقدة النقص وعقدة الخوف، وكان صاحبنا يقرؤها، ولا يخرج منها بشئ، سوى جمل مبعثرة، وعبارات غامضة، وأدرك أنها ترجمة رديئة، تضيع فيها



معالم الأصل، ومقاصد المؤلف.

أما ديل كارنيجى، فهو يختلف عن كل هذه الكتب، هو ليس محللاً يتوه فى مصطلحات أكاديمية، وليس غامضاً يقول ما لا يفهم، ولكنه طبيب ومعالج، يستعرض شرائح من واقع خبرته، ويستعرض قصصاً حقيقية، ويعرض كل ذلك بأسلوب سهل، يجعل القارئ يكتشف نفسه بنفسه، ويعالج نفسه بنفسه.

أهدانى صديقى عبد الفتاح شتا، زميل الدراسة فى دار العلوم، نسخة من كتاب "دع القلق وابدأ الحياة"، واستغرقت فيه، وخيل لى أن "كارنيجى" يتحدث عنى شخصياً، كان يقدم ما يسميه بالنصائح الذهبية، فيمس شغاف قلبى، مرة يقول: "لا تقف عند التوافه"،وثانية يقول: "توقع أسوأ الأمور، فلن يتوقف الكون"، وهو على أي حال يقدم القصص والتجارب، وصاحبنا يقرأ، ويتمثل ثم يتطهر، ويدرك أن كل ما يشغله، هو من التوافه التى لن توقف عجلة الحياة.

لم يكن أبو القاسم الشابى غريباً عن صاحبنا، فطالما قرأ له، وطالما شرح له أساتذته الكثير من نصوصه الشعرية، ولكن أبياتاً تتراءى له فى كتاب ما، تنطبع على قلبه، ولا تفارقه حتى اليوم:

سأعيش رغم الداء والإعياءِ ... كالنسر فوق القمة الشماءِ
وأقول للقدر الذى لا ينثنى ... عن حرب آمالى بكل بلاءِ:
لا يطفئ اللهب المؤجج فى دمى ... موج الأسى وعواصف الأرزاءِ
فاصدم فؤادى ما استطعت فإنه ... سيكون مثل الصخرة الصماءِ
لا يعرف الشكوى الذليلة والبكا ... وضراعة الأطفال والضعفاءِ
ويعيش كالجبار، يرنو دائماً ... للفجر، للفجر الجميل النائى

الشابى هنا يبدو كالغريق يبحث عن قشة، ويستنجد بقواه، وكلما زاد صياحه، كان ذلك دليلاً على إحكام الأزمة. إن صوت الأنا فى هذه الأبيات يرتفع، فهو يستنجد، ويصرخ، حتى يبقى على قيد الحياة، وتذكر صاحبنا عبارة "براد الشاى الذى يغنى، وهو يغلى"، وتفهم تماماً معنى عنوان القصيدة "هكذا غنى بروميثيوس".



-١٤-

واستطعت أن أصوغ كل ذلك في شعار يقول:

"أنا سعيد، وإيماني بنفسي شديد، وسأبلغ ما أريد"، كان الشعار مكتوباً في جمل قصيرة يسهل حفظها، صار لي كالدعاء المأثور، أردده وأنا سائر، وأنا ساجد، وأنا نائم، وأكتبه على الورق، وأتنفسه مع الهواء، وأستحضره في قلبي.

وكان صوت الأنا مرتفعاً أيضاً في هذا الشعار، ولكن لا يهم، فقد كنت كالشابي، غريقاً أبحث عن طوق النجاة.

-١٥-

واتخذ قراره الذي أراحه.

قرر بأن يكتفي من دار العلوم بالدراسات العليا، وأن يكتفي من الدراسات العليا بالدكتور أحمد الحوفي.

-١٦-

انصرف صاحبنا عن عمر الدسوقي، ولم يختره مشرفاً على رسالته، مع أنه كان نجم الكلية في ذلك الحين.

هو يذكر لقاءه الأول حين عيره بين الطلبة والطالبات، بنظارته السميكة.

وهو قد اكتشف أنه يسيطر على طلابه، ويفرض عليهم منهجاً لا يستطيعون منه فكاكا.

وهو يوقن أن منهجه لا ينمي ذوقاً، ولا يربي دارساً.

كان يأمر طلابه بأن يضعوا بين يدى البحث تمهيدات عن الحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتاريخية والحضارية، وقد تطول هذه التمهيدات، حتى تغطى على الموضوع الأصلى.

وكان يضع لهم حتى العناوين الفرعية عن حالة المرأة ، وحالة التجار ، وحالة الكتاب ، ويأمر طلابه بأن يجمعوا المعلومات حول هذه العناوين .

وكان صاحبنا يحضر مناقشات عمر الدسوقى، ويراه يصول ويجول، ويدافع عن منهجه، كأنه عنترة العبسى، وكأن الطالب أمامه عبلة، يدافع عن شرفها، ويحمى عرضها.

وكان لدى صاحبنا حساسية شديدة ضد التسلط.كسر أخوه الكبير ساعته التى كان يحلم بها، وتحولت إلى ذرات تختلط

عقاربها الخضراء، بطلائها المعدني البراق. وفرض عليه أساتذته في دار العلوم كتباً ضخمة، حاول أن يخرج عليها، فكان جزاؤه أن حرم من الصفوف الأولى، وهو قد جرب طعم تلك الصفوف أثناء دراسته الأزهرية.

إن اختيار عمر الدسوقي مشرفاً لن يحل المشكلة، سيجعل صاحبنا يعاني، ويكون صوت سيده، وهو يريد دائماً أن يصدر عن صوت نفسه.

أما الدكتور الحوفي، فهو رجل غير ذلك، سلس لين، زاده من الأدب الحديث قليل، ومن الفن القصصي الذي سيتخصص فيه أقل من القليل، وهذا يعني أن صاحبنا سيعتمد على نفسه في كل شئ.

-١٧-

قرر أن يكتفي من دار العلوم بالدراسات العليا، وأن يكتفي من الدراسات العليا بالحوفي، وأخذ يبحث عن أساتذته في الخارج... وتلمس طريقه نحو يحيى حقي، ونجيب محفوظ، ونحو ندوة العقاد.

دق جرس التليفون في العمل، وكان المتحدث هو يحيى حقي يطلب مقابلتي. كان رئيساً لتحرير مجلة "المجلة"، وكنت قد أودعته على استحياء مقالاً، ثم انصرفت.

وما هي إلا دقائق حتى كنت بمكتبه، في ٢٧ شارع عبد الخالق ثروت. استقبلني بابتسامة كبيرة تملأ وجهه الصغير، وترك بقية الموجودين، وانتحى بي جانباً في البلكونة.

أخذ يناقشني في المقال، ويستأذنني في حذف بعض الكلمات، وتغيير بعض العبارات، ثم أمر بنشرها.

ولم تسعني الدنيا، فقد كانت سعادتي لا توصف، وأنا أرى اسمي بين نجوم الكتاب مع العقاد وجمال حمدان، وفي مجلة تعتبر في حينها الأولى في العالم العربي.

ومن يومها توالت لقاءاتي معه في المجلة.

كان يجلس وكأنه ولي فوق سجادة، رجله تحته، وابتسامته لا تفارقه، يتحسس كلماته، وهو يناقش، لا يأمر ولا يريد، ولكن يأخذ الرأي، وكأننا، أنا وهو، نشترك في كتابة المقالة من جديد.



كنت فائراً ، فعلمنى الهدوء، كنت أصدر عن رأى واحد، فعلمنى أن أصغى للرأى الآخر، وكنت صغيرا، فعلمنى أن أكون كبيراً.

ويوم أن اقترحت اسمه على جامعة المنيا؛ لكى تمنحه الدكتوراه الفخرية، كنت بذلك أرد الدين نحو يد امتدت إلى صغير يتحسس خطواته الأولى.

-١٩-

قهوة ريش فى ميدان طلعت حرب، كانت خلية نحل فى فترة الستينيات، على أرضها تعقد الصفقات، وتصدر المجلات، وتتم العلاقات الغرامية، وأيضاً الخيانات الزوجية، قد نجد اثنين يتحدثان فى مشروع أدبى، وقد نجد اثنين يتشاجران؛ لأن أحدهما قد خطف فتاة الآخر، وقد يجلس الأديب، وبجواره رجل المخابرات، أحدهما يتكلم، والآخر يسجل، كانت صورة لمصر فى تلك الفترة، تمور وتغلى، وتتهيأ لحدث خطير.

فى صدر الحلقة كان يجلس نجيب محفوظ، كان لا

يتحدث كثيراً، ولكن يتابع الجميع، وكأنه يعد كل شخصية أمامه، لدور ينتظرها فى رواية قادمة.

كان صاحبنا يتعمد أن يجلس بجانبه ويراقبه، عسى أن يدخل معه فى حوار، أو يلتقط منه تعليقاً على حدث سياسى أو اجتماعى، ولكنه لم يجد شيئاً سوى قهقهة عالية، أو رشفة كأس، أو هزة من منكبيه، حتى تقترب الساعة من الثامنة، حينئذ تمتد يد نجيب محفوظ، بحركة لا شعورية، إلى ساعته يتحسسها، ثم يغادر المقهى، وهو يحيى مودعاً، يرفع يديه ويهزهما، وكأنه فى زفة شعبية.

أيقن صاحبنا أنه لن يجد عند نجيب محفوظ شيئاً، فهو رجل قد لخص حياته فى كتبه، أما خارج هذه الكتب، فهو يقوم بدور تمثيلى، فى انتظار الساعة التى يخلو فيها بمكتبه؛ ليمارس دوره الحقيقى.

ومع ذلك لم يقاطع صاحبنا قهوة ريش، فقد كان يلقى فيها الشئ وضده، ويلتقى بالفنان والمخبر، والخاطف والمخطوف، والغالب والمغلوب، حتى انتهى كل ذلك إلى نكسة ١٩٦٧.

كان أول لقاء لصاحبنا مع العقاد، على صفحات كتابه "الحسن بن هانئ" ،كان الكتاب قد صدر لتوه فى سلسلة كتاب اليوم. قرأه الصغير، وتابع التحليلات النفسية، وآراء يونج، وفهم تماماً عقدة النرجسية،ولكنه خرج من كل ذلك بفكرة ة واحدة، وهى أن أبا نواس مريض نفسياً.

وكان ذلك دأب العقاد فى معظم كتبه، يحاول أن يخضع موضوعه، وأن يسيطر عليه، وأن يسيره لما هو ثابت فى ذهنه. قد يكون معجباً بإحدى الشخصيات، فيلتمس لها دلائل العبقرية، حتى يصل بها إلى مصاف الآلهة، وقد يكون ناقماً على إحدى الشخصيات، فيلتمس لها من الجوانب مايصل بها إلى حد المرض أو الجنون.

قرأ صاحبنا تقريباً كل ما كتب العقاد، كان معجباً بقدراته الذهنية يتخيله شمشون، أو هرقل، أو ذلك العملاق الكبير، الذى قرأ عنه فى الأساطير، يغوص فى البحار، ويصيد الثعبان.

ولكن يشهد الله أن العقاد لم يدخل قلبه حتى اليوم،



وأدرك صاحبنا أن هناك فرقاً بين الاحترام والحب، وتذكر تحليلات العقاد فى كتابه "معاوية بن أبى سفيان" عن الفروق الدقيقة بين القدرة والعظمة، وتساءل فى نفسه:

- القدرة قد تثير التقدير، ولكنها أبداً لا تستطيع أن تخلق ذرة من حب.

كان الناس فى الستينيات يتحدثون عن ندوة العقاد فى مصر الجديدة، وعن قدرات العقاد، فهو يصحح لهذا الأستاذ، ويرد على ذلك الأستاذ، وهو يتكلم فى الطب، وفى الفكاهة، وفى كل شئ، وأغراه أصحابه بهذه الندوة، ولكنه لم يفعل، فقد كان دائماً يخاف العقاد.

كان يرى صورته فى الصحف، بوجهه الأسمر، وهو يتلفع فى كوفيته، وكان يسمع صوته فى الإذاعة، وهو يهدر كشلال فى أسوان، وكان كل ذلك يذكره بالحاج سعدى فى بلده.

الحاج سعدى قريب والده، ومستشاره الأول، وكان دائماً معه فى المحاكم، وعند الحكام، ووقت التعازى والتهانى.

وكان دائماً يبدو جاداً أو متجهماً، وعندما يرى طفلاً ينهره، ويأمره بالانصراف، وبأن يتعلم الأدب فى مجلس الكبار.

وكان الصغير يسعد دائماً، عندما يسمع الحكايات التى تحكى وراء ظهر الحاج سعدى، كانوا يقولون إنه خواف لا يسير وحده فى الليل، خوفا من العفاريت والجن.

وحدث مرة أن ذهب إليه بعض الخبثاء، يخبرونه بأن العمدة يريده فوراً؛ لكى يستشيره فى أمر طارئ، كان الوقت ليلاً، وأشجار النخيل تتحرك كأنها مردة، والرياح تزمجر كأنها صفير الجان.

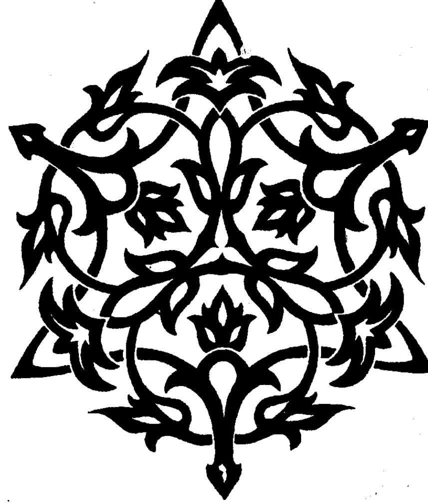
وخرج الحاج سعدى معهم، وفى منتصف الطريق، بين كروم النخيل، والرياح تعوى، والسعف تتصادم، تركوه، وكأنهم فص ملح وذاب، وأخذ الحاج سعدى يصرخ، وينادى، ويولول، حتى جاءت زوجه، وسحبته إلى المنزل.

وفى الصباح شكاهم إلى العمدة، ولكنهم أقسموا جميعاً بأنهم لم يفعلوا، وبأن العفاريت قد تمثلت فى أشكالهم وأصواتهم، فازداد الحاج سعدى رعباً.

كان صاحبنا يخشى أن يقترب من ندوة العقاد، قد ينهره، أو يأمره بالانصراف، كما كان يفعل الحاج سعدى.

كان الصغير قد قرأ معظم كتب العقاد، وأحس أن هناك

حاجزاً بينه وبين العقاد، لا يحاوره، ولا يقترب منـه، ولا يناقشـه، لعلـه كان يحتقره، هو يريد أن يأمر، وعلى الصغير أن يستجيب، هـو يريـد أن يتعملق، وعلى الصغير أن ينبهر، هو يريـد أن يبـدو جـاداً صارمـاً، وعلى الصغير أن يخشاه، هـو باختصـار صـورة مـن عمـر الدسـوقى، ومن الحاج سعدى، ومن أخيه الكبير محمد، والصغير لديه حساسية من التسلط حتى لو كانت من أقرب المقربين.



المشهد الثاني

-١-

انطلقت تذرع الصالة من أولها إلى آخرها، وهي عارية تماماً، كانت بيضاء ملفوفة الجسم صغيرة السن، وانطلقت وراءها مجموعة من الشباب، اشرأبت رماحهم، وتقوست ظهورهم، وتدلت ألسنتهم كالكلاب اللاهثة.

لم يحتمل هذا المنظر، فأقعى على سريره، واندس تحت غطائه، تركت الجميع، وأقبلت إليه، وأزاحت الغطاء، وأخذت تسبه بأقذع الألفاظ، وأفحش العبارات، ثم انطلقت من جديد، تعدو في الصالة، وانطلقت وراءها الكلاب اللاهثة.

-٢-

ممر مظلم، سار فيه بحذر كما أوصاه رفيقه وهو يمني النفس بفتاة جميلة، سار خطوات، ولكنه داس على ساق، وهو في طريقه، صدر صوت خشن، يبدو أنه لرجل مريض يتأوه، خرج



صاحبنا يجرى، وانطلق العسكرى يجرى وراءه، وأخذ يروغ من حارة إلى حارة، والعسكرى وراءه يطلق صفارته، حتى وجد "الترماى" الأصفر، فقفز داخله لاهث الأنفاس.

-٣-

لم يكن المنظران السابقان لوحة من لوحات سلفادور دالى، ولا موقفاً من روايات كافكا، ولكنهما كانا واقعاً، جربه الفتى فى أول عهده بالقاهرة فى فترة الخمسينيات.

المنظر الأول كان فى شقة أخيه يحيى بالجيزة، كان قد سبقه إلى الجامعة، واستقبله الليلة هو وأصحابه، يحتفلون بمجيئه إلى القاهرة، مع تلك المرأة من الأزبكية.

والمنظر الثانى فى شارع "كلوت بك"، وقد أغراه بلدياته بهذا الشارع، بعد أن أوصاه بأن يسير فى الممر المظلم، لا يتكلم ولا يرى، وقد هش صاحبنا لهذه الفكرة، فهو قد قرأ وصف ديكنز للأحياء الشعبية فى روايته "أوليفرتويست"، وكانت قد ترجمت تحت عنوان "اليتيم المعذب"، وهو قد تابع فى مجلة "الرسالة



الجديدة" حلقات نجيب محفوظ عن السكرية وقصر الشوق، وهو قد منى النفس بجو من المغامرة بين الأمكنة الشعبية فى كلوت بك، انتهى به إلى أن يقفز فوق "الترماى" الأصفر، والعسكرى يطارده بصفارته العجيبة.

-٤-

صحبها إلى السينما، وهو فى قمة النشوة، فلأول مرة يخرج إلى السينما مع زميلة له، مثقفة ومتحررة، وتداعت إلى ذهنه روايات إحسان عبد القدوس، ومحمد عبد الحليم عبد الله، ومناظر من السينما المصرية، عن فتى وفتاة، يسيران بين الجداول، أو فى حديقة الأورمان، أو يتجولان فى القناطر الخيرية، ثم يغيبان فى قبلة، لا يشعران فيها بأحد، ولا يشعر بهما أحد.

وحين أطفئت الأنوار، امتدت يده تداعب يدها، فأزاحتها، ثم انخرطت فى البكاء.



-٥-

النساء فى القاهرة نوعان:

فتاة الجامعة، التى كانت تلبس فى الستينيات البرميل والشوال والمحزق، وترطن باللغات، وتمضغ اللبان، حتى إذا ما اقتربت منها، ارتدت إلى عصر الحريم.

والأخرى فتاة الأزبكية، تذرع الصالة عارية، وخلفها الشباب كالكلاب اللاهثة.

وتذكر تحذيرات أهله فى القرية من نساء مصر، وأدرك أن المرأة هى نقطة الضعف عند الصعيدى، فتحصن بإرادته، واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم.

-٦-

حلق شاربه لأول مرة فى القاهرة، ثم بكى.

كان الموقف لا يحتاج لمثل هذا البكاء الحارق، فهو قد حلق شاربه بمحض إرادته، ولكنه مع ذلك بكى.

نظر إلى صورته فى القرية، وهو فوق حصان أبيه، ينظر الى



الأفق، وشاربه مبروم، ثم بكى.

تذكر صفية وسميحة، ثم بكى.

أين هو الآن من صفية وسميحة؟

كان يستطيع أن يمد يده نحو صفية، فتتورد وجنتاها خجلاً، وكان يستطيع أن يبعث برسالته إلى سميحة، فتجيبه بأغنيتها المفضلة:

ما دام تحب بتنكر ليه   اللى يحب يبان فى عنيه

-٧-

كانت القاهرة فى الستينيات مدينة بلا عقل، الناس فيها يصرخون ولا يعقلون، ويهتفون ولا يفهمون، وإذا ما توقف أحدهم وتساءل، داسته الأقدام.

كانت الاشتراكية ترفع شعارها، وتلون كل شئ بلونها، المعارض الفنية مليئة بصور السواعد والمناكب والفؤوس والمناجل، والأدب يجهر بلغة الصراع الطبقى، وحناجر الجماهير، حتى النبى محمد أصبح رسول الحرية، والسيدة عائشة أم

الاشتراكية، والصحابة رفقاء الاشتراكية.

وأصبح الناس يبحثون عن تاريخ لهم فوق أرض الاشتراكية، حتى لو كان هذا التاريخ مزيفاً أو هجيناً، ذكرت لى زوجة عبد الرحمن الخميسى، أنه كان يتحرش برجال الأمن، ويدس معلومات خطأ عنه، ويتصل بهم تليفونياً تحت مسمى "مجهول"؛ ليغريهم باعتقال عبد الرحمن الخميسى، فقد كانت قيمة الإنسان فى ذلك الحين تقاس بعدد السنوات التى قضاها فى المعتقل، حتى لو كان ذلك عن طريق البطولات الوهمية، والادعاء الكاذب.

فى ظل ذلك نشرت فى مجلة "الآداب" مقالتى تحت عنوان "الفن والنقد العقائدى"، أدعو فيها إلى تحرير النقد من الدوحماطيقية، والوقوع تحت الشعارات الكبيرة، وأذكر أن الفن له لغة غير لغة السوق ورغيف الخبز، فقد يكون هادئاً، ولكنه يصل إلى الوجدان، وقد يكون زاعقاً، ولكنه لا يتجاوز الآ ذان، وثارت الدنيا على هذا الخارج، وانطلقت جماعات الاتحاد الاشتراكى تتهمنى بالرجعية والتخلف، وبأن كتبى تخلو من الموقف والانحياز للجماهير.



وتحولت الاشتراكية إلى مذهب دينى، وانطلقت الغوغائية تستسلم لهذا المذهب بلا تساؤل. يحركها فى ذلك تراث المنطقة الدينى، الذى أسيء استغلاله، وكانت الأوامر المشددة فى وزارة الثقافة، التى كنت أعمل بها، بأن نحذر من كل ما يسئ إلى الاشتراكية، وقد يتسامحون مع من يسىء إلى أبى بكر وعمر وأقوال السلف، ولكنهم أبدا لا يتسامحون مع من يسىء إلى ماركس ولينين والبيان الشيوعى.

ذكر لى صديقى الدكتور محمد حسن الزيات، أن السفير الروسى جاءه بعد سقوط الاتحاد السوفييتى، وقال له ساخرا: "حوش عنى الشيوعيين المصريين. عاوزين يعلمونى الشيوعية من جديد".

- ٨ -

وانتشرت فى القاهرة ظاهرة التنفج والنفخة الكاذبة، وتذكر صاحبنا قريبه "الفيط" لم يكن هذا اسمه، ولكن كان لقبا لم يفهمه صاحبنا حتى اليوم، فقط كان يضحك ويستغرق فى الضحك.



ويستغرق معه غيره، كلما يذكرون هذا اللقب الغريب.

كان "مكاساً" فى سوق الثلاثاء، يلبس هذا طاقية ذاك، ويحلف بالطلاق والأيمان المغلظة، وأصبح الناس يطلقون على كل كاذب دعى محلاف لقب الفيط.

وانتشرت فى القاهرة فى ذلك الحين أنواع عديدة من الفيط، يكذبون ويجأرون، وتسللت مجموعة منهم إلى "صوت العرب"، ينفخون فى الأبواق، ويملأون الهواء جعجعة وطنيناً، ويجعلون من الحبة قبة، ومن الهزيمة نصراً، ويكادون يحلفون بالطلاق والأيمان المغلظة.

ويذكر أهل القرية أن "الفيط" كان جباناً، يخاف من ظله، مرة خرج له صبى، وهو يقضى حاجته، فصرخ ولبط، لولا أن جاءته امرأته، وسحبته إلى الدار، وقد وجدوه فى أخريات حياته ميتاً، رأى حبلاً يتحرك ، فظنه أفعى، وكذلك كان الفيط فى القاهرة ، انكشفت سوأتهم بعد نكسة ١٩٦٧، وسقطت أوهامهم، فأخذوا يبكون بين يدى زرقاء اليمامة، يطلبون منها الصفح والتوبة، وكان هذا هو عنوان قصيدة أمل دنقل "البكاء بين يدى زرقاء اليمامة".



كانت القصيدة مباشرة، مليئة بالخطابة والحماسة، ولكنها كانت تعبيراً عن لحظتها، تعكس أصداء البكاء والندم، وسائر أنواع التعذيب النفسي، وتريق الحسرات بين يدى زرقاء اليمامة، ومن هنا أقبل عليها الشباب، ورددتها ألسنة الناس، ومن يومها أصبح أمل دنقل شاعر العروبة، يتابع الأحداث، ويسجلها، وينفخ في حروفه ناراً، ويهيب بالشباب، فيرددون مقاطعه، ويتغنون بأشعاره.

-٩-

كان الناس يسيرون نحو الهزيمة، وهم يغنون، ووقعت النكسة وهم لا يزالون يغنون.

عاد عبد الناصر إلى الحكم، وتحمل وحده مسؤولية النكسة، واستراح الناس إلى هذه النغمة، وألقوا بعبئهم على عبد الناصر، وانصرفوا إلى حياتهم، يأكلون، يتناسلون، يدخنون الحشيش، ويصغون إلى أم كلثوم، ويتحمسون للكرة.

كتب محمد حافظ قصته "الكرة ورأس الرجل"، وكانت



كذلك معادلاً فنياً لحياة الناس، فقد تحولت رؤوسهم إلى كـرة، تتقاذفها الأرجل، ويتحمس لها الجماهير، وعلى الرغم من أن هـذه القصة لا تحمل قيمة فنية عالية، كما ذكر صاحبنا في كتابه "القصة القصيرة في الستينيات"، إلا أنها كانت تصويراً للحظة، أخذ الناس يبحثون فيها عن بطولات وهمية، ويلوكون انتصارات مزيفة.

-١٠-

مصر ... مصر

الناس فيك يأكل بعضهم بعضاً، وهم يتصافحون ويبتسـمون، الناس فيك يا مصر يأكلون الفول والطعمية، ثم يطبلـون ويزمرون، النـاس فيك يا مصر كالقرود. يقال لهـم: نـاموا فينـاموا، وانقلبـوا فينقلبوا.

قاطعتني قائلة :

- لا يرضيك العجب ولا الصيام في رجب، وأين تفر من قدر الله.

فأجبتها محتداً :



- أفر إلى عالم من صنع نفسي.

وكان هذا العالم هو أرض العبث.

-١١-

الناس في مصر فريقان.

فريق يدخن الحشيش، ويتحمس للكرة، ويأكل الفول والطعمية، وفريق يتجشأون البيرة، ويمضغون كاللبان حكايات كافكا وفولكنر وسارتر.

كان كل شئ باطلاً وقبض الريح وينذر بالموت، وكل امرىء يرفض واقعه تحت ما يشاء من تبريرات، وبنجي فولكنر يصرخ كالمجنون، وروكانتان يصاب بالغثيان، وميرسول يقتل أمه، وهو سعيد، وأبطال المسرحيات يلقون بالأطفال تحت عجلات القطار، أو يدسونهم تحت الأمواج، أما شخصيات كافكا، فقد كانوا محبوسين في "القلعة" يلوكون أحاديث حول "القضية" التي لا يفهمون لها معنى، ولا يصلون فيها إلى جدوى.



-١٢-

صاح محمد حافظ رجب صيحته الشهيرة: "نحن جيل بلا أساتذة"، وتلقفها أبناء جيله، فقد وجدوا فيها صدى لما يعتمل في نفوسهم من تنفج وغرور.

ولم ينج صاحبنا من هذا الإحساس، فقد نشر في تلك الفترة كتابه "الأدب وتجربة العبث"؛ ليؤكد أن صيحة العبث عند هذا الجيل، هي بداية لمرحلة جديدة تعني أن كل تلك السنين الطويلة التي عاشها الإنسان حتى الآن، ما هي إلا مرحلة تخبط وقرع للأبواب، مرحلة طفولة تصطنع المبررات؛ لكي تحفظ على نفسها وجودها، أما الآن، فقد أزيلت العصابة حقاً، أمام ضوء باهر قد يصيب العينين بالعشى، وقد يكشف عن أهوال وأدغال، أو عن طريق طويلة مهولة، تبعث في النفس الخوف واليأس، ولكن حتماً ستعتاد العينان الضوء، وستبصران طريقهما.

-١٣-

ورأى في أحلامه قطة، عيونها مطفأة سيجارة، وذيلها سحابة دخان، ثم أرعدت السماء ولم تسكن.

-١٤-

وحلت نوبات القولون محل "الغمرة".

كـانت نوبـات حـادة، وقاسـية، ومتكـررة، لا تنفـع معـها المسكنات، كان يمسك بطنه، ويتدحرج على أرض الغرفة، ولا يهدأ القولـون، وتذكر أمه، وهي تقدم له عصير الليمـون، عقب كـل "غمـرة"، كـان يقرأ في عينيـها الإشـفاق والقلـق، ثـم يفـوق مـن غمرتـه.

أمـا الآن، فـالعيون حولـه قاسية، شـامتة، جـامدة، كأنـها الحراب، تطعن القولون فيهتاج.

-١٥-

كان ينجي يشم زهرة "الجمسن" ، فيكف عن الصياح.

أما هذا الغراب القائم فوق الخرائب، فهو لا يزال ينعق، وعبـده جبـير لا يـزال يبحـث عـن "سـبيل الشـخص"، وجمـال الغيطانـي ينقب في أوراق شاب عمره ألف عام، أما الحمـامصي، فهو لم يكمل بعد روايته "أخميم حبي".

-١٦-

وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه:

وأخذ يقول ويقول، ويقلب الأوراق، ويردد الآيات.

ثم نظر نحو ابنه، وجده قد انصرف، ودون استئذان.

فلملم لقمان أوراقه، ثم أحرقها.

وحين رويت حديث لقمان لصديقي، قال:

- إن صاحبك لقمان أسعد حظاً، أما أنا، فاسمع حكايتي.

كنت ألقي درساً في المسجد، وأعجبني فتي في مثل عمر ابني، كان صامتاً لا يعلق، وقلت له أشجعه على الحديث:

-مالك لا تتحدث يا بني؟

-أقول إيه؟ أقولك: طظ فيك.

ثم تجشأ الفتى في وجهي، وانصرف.

المشهد الثالث

-١-

كان فى الخمسين من عمره، لا هو بالطويل ولا القصير، ولا هو أبيض ولا أسود. ولا هو بالذكر ولا الأنثى.

حادثنى وأنا أسير فى "الهايد بارك"، فانتشيت أن أتكلم مع رجل إنجليزى ، وباللغة الإنجليزية، وفى قلب لندن.

وتذكرت نكتة إسماعيل ياسين، فقد سئل عن رأيه عقب زيارة له إلى لندن، فقال:

"ياه، دا كل الناس هناك متقدمين، ويتكلموا إنجليزى فى الشوارع، حتى الأطفال الصغيرين".

أخذ يسألنى عن انطباعاتى، وعن الأمكنة التى زرتها، وعن الناس الذين قابلتهم، ثم قال:

- هل تحب الجنس؟

- ولكن زوجتى ليست معى!

-دا سهل.



-مع من؟

-معى.

كأنه ألقى بى فى مغطس بارد، ونسيت الإنجليزية، وأخذت أبرطم بلهجة صعيدية، تواتينى وقت الأزمات، ثم أسرعت إلى الفندق، واندسست تحت أغطيتى، خشية من شبحه أن يتبعنى.

-٢-

منذ أن بدأ صاحبنا يقرأ، وهو يحلم بأوربا، كان يرجّع مع طه حسين غنائياته فى باريس، ويردد مناجاته فى رحلة الربيع والصيف عن روما وأثينا ومونبلييه، وكان يتنقل فى "زهرة العمر" مع محسن فى أحياء باريس، بين المسرح والكونسيرفيتوار ومعارض الرسم وكورال الكنائس.

كان كل من يسافر إلى أوربا، يعود، وهو يتغنى بالحياة هناك، وينقم على الحياة هنا، كان نائب الحكيم الذى جاء من أوربا ليعيش فى الأرياف، يظن أنه قد ألقى به من علو شاهق إلى مكان سحيق. أما من لم يسافر، فهو يظن نفسه "دون" من أهل



الأعراف، بينه وبين الجنه مسافات.

وامتزج حلمه بكل ما كان يسمعه فى طفولته عن جنة الله، التى أعدت للموعودين. ففى أوربا أنهار من ماء غير آسن، وفى أوربا أنهار من لبن لم يتغير طعمه، وفى أوروبا أنهار من عسل مصفى، وفى أوربا أنهار من خمر لذة للشاربين، وفيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين.

وظل طيلة عمره، وهو فى الأزهر، وهو فى دار العلوم، كلما يضيق بشئ، يقول لمن حوله: وأين نحن من أوربا.

وها هو الآن يتمشى فى "الهايدبارك" حوله الأشجار الباسقات كأنها الولدان المخلدون، والنساء الفاتنات كأنهن الحور العين، والنافورات كأنها عين من تسنيم.

ولكنه، مع ذلك، يبدو غير سعيد.

هو يرى ويشاهد ويتفرج، ولكنه لا يستطيع أن يمارس، كأن فى داخله "لجاماً" يكبحه عن الانطلاق.

هو يشاهد فى كل مكان فتى وفتاة يغيبان فى قبلة طويلة، كتلك القبلة التى كان يراها فى نهاية الأفلام المصرية، ويقف ليتفرج، ولكن الشرطى ينهره.

حقاً، أوربا هى جنة الله فى أرضه، ولكنها ليست له، وإنما هى لأصحابها من الموعودين.

وهنا عرف أن الحضارة ليست فرجة ولا مشاهدة، ولكنها حياة يصنعها أصحابها، ومن لم يصنعها، فإنه يظل من أهل الأعراف، لا يسمح له بالدخول ،إلا إذا كان يحمل رسالة الغفران.

وهنا تفهم صاحبنا أزمة أديب طه حسين، وإسماعيل يحيى حقى، ومحسن توفيق الحكيم، ومصطفى السعيد، وغيرهم ممن أرادوا أن يدخلوا الجنة دون أن يدفعوا الثمن، فكان جزاؤهم الطرد والندم، لا هم من أهل الشمال، ولا هم من أهل اليمين، تماما كهاروت وماروت يصفقان بأجنحتهما، ويظلان معلقين بين السماء والأرض إلى يوم القيامة.

وصاح صاحبنا:

"لا خلاص من الأزمة، إلا إذا صنع هؤلاء جنتهم بأنفسهم، وتخلصوا من موقف الفرجة والمشاهدة، إلى موقف العمل والممارسة، فالجنة ليست هى ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين، ولكنها هى ما تصنعه الأيدى، وتشكله الرؤوس".

-٣-

كنت مشدوهاً بالمناظر حولى فى لندن، أتنقل من شارع إلى شارع، ومن حديقة إلى حديقة. ومن ضوء إلى ضوء، ومن مبنى إلى مبنى، وكأننى ذلك الغواص، الذى يسبح فى أعماق البحار، مأخوذاً ببريق اللؤلؤ والمرجان، وتشكيلات الصخور، وألوان الطيف، وقطع الأصداف.

كنت أتفرج دون أن أتساءل. وأتجول دون أن أتوقف.

ثم تكشفت لى الحياة فى لندن عن عالم آخر.

بدأت أفهم اللغة، وأخذت تشكيلات الهواء تتحول فى أذنى إلى معنى.

أخذت أفهم ما يقوله الناس وتكتبه الصحف، ويلقيه الخطباء فى "الهايدبارك".

وأدركت أن الحضارة لها ظاهر وباطن.

الظاهر هو ما كنت أشاهده هنا فى لندن، طيلة هذه الشهور الكثيرة، ولا أفهم له معنى، سوى أن أتفرج وأنبهر وأتمتع.

أما الباطن ، فهو ذلك العالم الآخر، الذى يتناثر فى الأثير،

ويحمل أنفاس الآباء، ويحتفظ بهمهمة الأجداد.

قرأت مرة في إحدى المجلات العلمية، أن الصوت لا يفنى، وأنه لا يزال منذ الأزل متنقلاً عبر موجات الهواء، وأن العلماء يجدّون لكي يعيدوا إلى الآذان صوت الإسكندر ونيرون وهرقل وموسوليني وهتلر، وقلت في نفسي:

ما الحاجة إلى أن يعيدوا هذه الأصوات كحروف ونغمات، وهي لا تزال بحشرجتها وسعالها موجودة حولي في كل الأصوات.

قالت لي:

-إن عيبنا في الشرق أننا عشنا الظاهر، وأخذنا نتفرج على الحضارة دون أن نعي هذا المستوى الآخر وراء الظاهر.

وقلت لها:

-هل تبصرين ذلك الروح الهائم في سماء الشرق، إنه "الكاه " يبحث عن جسده، وسيظل هائماً وحائراً، ولا يسقط على الأرض؛ لأن الأرض غير الأرض، ولأن الجسد، غير الجسد. ثم أضفت:

- ويوم أن يجد الكاه جسده... فسوف تنبعث الحياة من جديد، وسوف نعيش الظاهر والباطن معاً، وسوف نحس بالحياة



الحقيقية، وندرك أن ما عشناه من ظاهر، إنما كان فرجة وتمثيلاً.

-٤-

الجنس في "سوهو" متاح، معروض على قارعة الطريق، سلعة تقاس بالربح والخسارة.

أقبلت على عارية إلا من ورقة تين، وأخذت تستحثني، ولكن ماء بارداً كأن قد صب فوق جسدي الذي يغلي.

قالت لي :

-هل أنت شاعر ؟!

ولم أجب خشية أن أتهم بالجنون.

-٥-

الشباب في ميدان "الطرف الأغر" يحتفلون بأعياد "الكريسماس" سكارى، يضجون بأصوات مجنونة، يرسلون القبلات مجاناً، قدمت لي إحداهن خدها بحركة ميكانيكية فتوقفت.

أخذوا يدورون حول نافورة المياه، يستقبلون الرذاذ،

يرشونه على صدورهم، خلعت فتاة ثيابها، وألقت بنفسها داخل النافورة، وكأنها تحتمي من سعار نار.

قلت في نفسي ولنفسي :

- ليس الأمر أمر أعياد واحتفال، ولكنه انتحار.

تخيلت المسيح يخرج من كنيسة "القديس يوسف" على مقربة من الميدان، يحمل عصاه، يطرد بها هؤلاء الفتيات والفتيان، بعيدا عن المعبد، كما طرد من قبل الصريفين والصيارفة، بعيدا عن بيت المقدس.

-٦-

تذكرت قصة كتبها توماس مان.

كانت القصة عن فتاة ترقص، وتغني، وتمارس كل شيء دون عمق، ثم فجأة انخرطت في بكاء حاد.

كان راوي القصة أستاذا للتاريخ، ولم يستغرب موقف الفتاة، فقد كانت من جيل الحرب.

وقلت في نفسي أيضا:

- لا زالت الحرب تلقى بأوارها على هؤلاء الشباب في "الطرف الأغر" يرقصون، ويغنون، ويضجون بأصوات عالية، ثم يلقون بأجسادهم المتلهبة داخل المياه المتجمدة.

-٧-

شاهدت اليوم مسرحية في شمال لندن، لا أذكر عنوانها ولا حوارها، ولكنني أبدا لا أستطيع أن أنسى منظر بطلتها.

كانت تتكوم في جلستها ككتلة من الإغراء، تبرز مفاتنها كقطعة من مرمر، وكلبها يتمسح بها في دلال.

كانت من جيل الحرب، تتأمل نفسها، ولا تأبه بمن حولها، منتشية بغزل الشباب، تمتص الكلام المعسول، لا يهمها الأهل ولا العائلة ولا العرف والعادة، لا شئ سوى نفسها.

وتذكرت سوزى بطلة "عصفور من الشرق". كانت رمزاً لأوربا بعد الحرب، لا شئ يهمها سوى غرضها، حتى لو كان ذلك على حساب محسن ومن حولها، وأدركت أن الأدباء يتحدثون بلغة واحدة؛ لأنهم يغترفون من العمق، مما هو تحت السطح

ووراء الظاهر.

-٨-

لا أنسى أبداً نظرة ذلك الكلب.

كان يقعى تحت قدمى صاحبه، فى حديقة الهايدبارك، وينظر إلىّ نظرة باردة.

حاولت أن أستفزه، فلم يغير من نظرته، ولم يبدل من هيئته.

أما الكلاب فى قريتى، فقد كانت من نوعين.

أولهما كلابنا، التى كانت تستقبل والدى، فوق جسر القرية، وهو عائد من السوق، تعلن مقدمه، وتتمسح بركابه، وتنبح فى سعادة، وتهز ذيلها، وتلتف حوله، حتى يجلس على دكته، وكأنه رمسيس الأول.

أما الأخرى، فهى كلاب الأعداء، من القبيلة التى كانت تنافسنا على "العمودية"،كانت تنبحنى بشدة، وأنا عائد من المدرسة، وتنظر إلى نظرة نارية، وكأنها ترمى بشرر كالقصر.



عضتني مرة حتى أدمتني. ولكن جرحها لم يبلغ من الألم، مثلما بلغته تلك النظرة، من ذلك الكلب في بلاد الإنجليز. وهو يقعي تحت قدمي صاحبه، وينظر إلي وكأنه ينظر إلى لا شئ.

-٩-

ظللت عاما في بلاد الإنجليز. عقب سفر زوجتي وأولادي أعيش وحدي في حجرتي، لا يطرق بابي إنس ولا جن.

أخرج إلى الشارع، فلا أقابل إلا بابتسامة مرسومة، يعلقها الناس على الشفاه. فتوقفني مكاني. فلا أتخطى حدودي. وكأنني من كوكب آخر.

حسدت الكلاب التي يربتون عليها، ويقدمون إليها الحلوى والأطعمة، وخشيت أن أموت في حجرتي، كما يموت العجائز.

وأخذت أستعيد الحكايات.

فهذه عجوز قد ماتت في حجرتها، لم يحس بها أحد سوى بائع اللبن، فقد وجد الزجاجات تتكاثر أمام الباب، ولا تخرج لالتقاطها، فعرف أنها قد فارقت الحياة.



وهذه عجوز قد ماتت وحدها فى حجرتها، وحين اتصلوا بابنتها لم تفعل شيئاً سوى أن تتصل بالإسعاف لتنقل الجثمان إلى مثواه الأخير.

وهذه عجوز قد ماتت . وكلبها بجوارها، وحين اشتد عليه الجوع، نهش جسدها، وولغ فى دمها.

-١٠-

حملت حقائبى وعدت.

استقبلنى فى المطار زوجتى وأولادى وإخوتى.

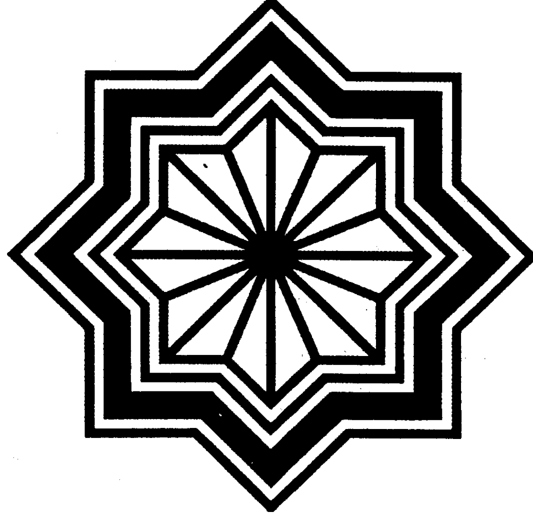
أدركت من الأصوات حولى، أننى فى بلدى مصر.

كانت الأصوات مشروخة مغلولة، تدمدم كأنها رحى تطحن حصى، فتذكرت غمغمة كلاب الأعداء فى قريتى، وأحسست بطعم الجراح فى حلقى، ولم يخرجنى من ذكرياتى وأحاسيسى، سوى صوت زوجتى تدعونى إلى السيارة، فانحشرت بين الأولاد. وابتلعتنى زحمة الطريق.

-١١-

اعتدت هذه الأصوات حولي، وأصبحت أنام وأصحو عليها.

لو أن يوماً استيقظت،ولم أسمع صوت بائع الصحف (أهرام، أخبار، جمهورية)، لخرجت بالجلابية إلى عرض الشارع، وأخذت أبحث عنه حتى أسمع صوته، ثم أعود لأكمل نومي.



الشاهد الثالث

المنيا

المشهد الأول

-١-

قبيل الفجر استهل صارخاً، فبكيت.

ود لو تركه حموه ينهنه حتى الصباح، فما ذاق من قبل طعم هذا البكاء.

قال له حموه، وقد أحس بنهنهته:

- سوف أخبرها بأنك قد بكيت.

ولأول مرة يحس بأن البكاء ليس ضعفاً، وبأن الدموع قد تجول فى مآقى الرجال، فقال لحميه:

- قل لها، فليس فى الأمر غرابة.

-٢-

كان هو ابنى الأول، وكانت ولادته عسيرة، وكنت أجلس فى البلكونة، ومعى حماى، أقوم وأقعد، وأقعد وأقوم،حتى استهل قبيل الفجر صارخاً، فأحسست أننى قد ولدت من جديد.



الأب ليس هو فقط، الذى يلد الابن ويمنحه الوجود، ولكن الابن أيضاً يلد الأب، ويمنحه حياة لم يذقها من قبل، ولقباً لم يجربه من قبل.

-٣-

وإذ قال لقمان لابنه، وهو يعظه:

يا بنى ، من قسا قلبه فهو كالصخرة الصماء، لا الماء تمسك، ولا الزرع تنبت.

يا بنى، من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر، لن يدخل الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط.

يا بنى، من أحب الناس، أحبه الله، ومن أحبه الله، حبب إليه الناس.

-٤-

أصبح يرى الدنيا غير الدنيا، والكلمات غير الكلمات.

كان من قبل يسير بين الناس، فيرى فيهم الكركدن والخرتيت



والثعلب، أما الآن، فهذا على ومحمد، وتذكر أصدقاءه فى الدراسة، فتحى حمادى ، وعلى عبد المجيد.

وكان من قبل ينظر فى السحب، فيرى صورة الحوت والديناصورات، أما الآن، فهو يرى صورة الملائكة، ووجوه الأطفال. ورسوم مايكل أنجلو.

ولم تعد الكلمات تغضبه، فقد وصفوه بالترمسة؛ لأنه كان متطلعاً، دقيق الملاحظة، وما وصفوه "بالطويل الهايف" ، إلا حسداً وغيرة.

-٥-

وتوالت ذكريات قريته، أبوه الذى كان يتلو دلائل الخيرات، وهو يربت على صدره، وأمه التى تستوقفه قبل أن يخرج إلى الطريق، وتلقنه دعواتها التى حفظتها عن أمها "أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق"،وأخته الكبرى التى كانت تغسله يوم الأربعاء بعرعر أيوب، وتقدم له البيض الملون فى سبت النور. وأخوه الأكبر الذى كان يجلب له من القاهرة قصص العرندس



والنعمان والديك الأحمر.

وتحركت مشاعره.

ليت زميله لم تلسعه العقرب، وليت أخاه محمداً لم يمت، وليت ابن عمه واصل تعليمه، حتى لا يتحول إلى جن يقذف والده بالحجارة، ويلقي على "سيدنا" التراب.

ولأول مرة يضيق صاحبنا بمعلقة عنترة، كان وهو في قريته يكثر من قراءتها، ويراها مثلا للقوة والفتوة، أما الآن ، فقد تحول عنترة أمامه إلى شرير، يخشى أن يداهمه الموت قبل أن ينتقم من ابني ضمضم.

-٦-

"واتل عليهم نبأ آدم بالحق؛ إذ قربا قربانا، فتقبل من أحدهما، ولم يتقبل من الآخر، قال: لأقتلنك. قال: إنما يتقبل الله من المتقين . لئن بسطت يدك إلى لتقتلني، ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك، إني أخاف الله رب العالمين، إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك، فتكون من أصحاب النار، وذلك جزاء الظالمين".



-٧-

مسكين طه حسين، أصابه الكبر، فلم ير فى أيامه غير نفسه، وصغر عنده أبوه وأخوه وكل شيوخ القرية .

ومسكين يحيى الطاهر. لقد حصر نفسه فى الطوق والأسورة، فلم يستطع الإفلات منهما.

أما صاحبنا، فقد هداه الله، وكسر الطوق والأسورة، فاستطاع أن يرى الوجه الآخر.

وتذكر حكاية "قروية معلقة فى السماء"، وأدرك أن الرب لم يسلط الناس لأكل بعضهم بعضاً، وحمد الله، فقد زار قريته أخيراً، وعرف أن هذه الحكاية قد اختفت عند الجيل الجديد.

-٨-

امتطى سحابة مثقلة بالماء، تحول إلى قطرة ندى، طلب منها أن ترشه على قبر أبيه، فى قريته البعيدة.

استجابت له، وقرأت معه الفاتحة.



-٩-

جاءته أمه فى النوم، تنبئه أن قطـرة المـاء، قـد وصلـت إلى أبيه، وأنه يحتفظ بها، ويفضلها على كل أنهار الجنة.

لم تتركه إلا بعد أن أوصته بأخته الصغرى.

-١٠-

جاءه ابنه مستبشراً وقائلاً:

- أتانى اليوم ولد .

- قم، فسمه عبد الشكور.

قال ابنه:

- إننى أحس أننى أولد من جديد.

-- أنت الوالـد والولـد، وهـو الولـد والوالـد، والله هـو الأول والآخر، والظاهر والباطن.

قال الابن :

- إننى أحس أننى أحب الناس جميعاً.

- تلك هى بداية الطريق.

- وأستغفر الله عن كل ما بدر منى.

- وتلك هى بداية الطريق أيضاً.

- وما نهايته يا أبت؟

- يا بنى، نهايته هى بدايته، فأنت الوالد والولد، وهو الولد والوالد، والله هو الأول والآخر، والظاهر والباطن.

قام ليرى صغيره، فرأى فيه صورة أبيه، وأعاد الإهداء فى الجزء الرابع من كتاب "الوسطية العربية":

"إلى أبى رحمه الله.

لولاك أنا ما كنت، ولولاى أنت ما دمت.

فكلانا نفس واحد، يتصل أوله بآخره، ويتصل آخره بأوله".

-١١-

أعاد قراءة "رسالة الغفران" التى أودعها كتابه "حلم ليلة القدر"،وأحس أنه خلق جديد.

المشهد الثاني

-١-

كانت القاهرة فى أواخر الستينيات، قد بلغت حدا من القبح لا يطاق.

زوجة تنتقل من سكنها فى الهرم حتى عملها فى باب الخلق. فى ثلاث مواصلات، دون جلوس ولا معين.

وهو يظل واقفا لساعات ينتظر الأوتوبيس، ثم يأتى، والناس يتدافعون نحوه، ثم يعودون منكسرين. فقد اكتشفوا أن عجله قد "فسى"، دون أن ينبسوا بكلمة احتجاج، أو حتى بعبارة "آه".

وجاءه الفرج، والتحق بجامعة المنيا، وحمل أسرته وكل أمتعته، وصعد نحو المنيا.

"وداعا أيتها العجوز الشمطاء، لقد ذابت عن وجهك المساحيق، وبدا كل شئ على حقيقته، الجلد متغضن، والملامح مترهلة، أما صوتك، فهو مبحوح كفحيح الأفعى".



-٢-

اندفع القطار نحو المنيا، وغمرته الطبيعة حوله، وشم رائحة الأرض، وتأمل زهرة الفول، التى يحبها كثيراً، كانت زهرة كذيل القط، يختلط فيها الأبيض بالأسود،

استنشق رائحتها، فلانت عضلات وجهه.

كان فى زحمة القاهرة قد افتقد الذكريات، ينام فلا تواتيه الأحلام، ويتحرك بين الناس بلا أبعاد، أما الآن، فقد هاجمته الذكرى، وعاودته الآلام.

وتذكر صوت الغراب فى قريته، كان يعشق هذا الصوت كثيراً، ما إن يسمعه حتى يشب على رجليه، ويجاوبه فى أنشودة لا تقل جمالاً عن صوت الغراب، ويقول:

غراب جدع ركاب ... مطرح ما يروح ... يجيب جواب

كان يمط فى أغنيته، وكأنه يشكر الغراب، الذى يطمئنه على الغياب، من الأهل والأحباب.

وتذكر صوت الحمار فى قريته، كان هذا الصوت أجمل عنده من كل سيمفونيات الدنيا، يبدأ فى طبقة غليظة ومنخفضة،



ثم يتعالى تدريجياً، وفى صوت حاد ومرتفع، يهتز له جسد الحمار ومن فوقه، ثم يأخذ فى الانخفاض والانكسار، وكأنه تلك النفحة الشاكية فى سيمفونية القدر، تتألم، ولكنها تواصل وتصبر، كان يستبشر بهذا الصوت كثيراً؛ لأنه ينبئه بعودة والده من السوق، فوق جحشه الفاره، بلجامه المزركش، وسرجه المزخرف بالشراشيب، وخرجه الملئ بأبى فروة ذى الزغب الناعم، وحبات اليوسفى صفراء اللون، وقطع القصب التى يسمونها" دراع القط"؛ لأنها مثل يد القط فى دارنا يختلط فيها البياض بالحمرة والصفرة.

وغمرته الطبيعة والأحلام والذكريات، ولم يخرجه من كل هذا، إلا صوت زوجه تبشره بأن محطة المنيا قد وصلت.

-٣-

على الضفة الشرقية وقف أخناتون يحيى قرص الشمس، ويستقبل بين صدره شعاع الصباح، الذى سيطرد الخفافيش والظلام، ويجعل آلهة الشر تتوارى، وقف هذا الملك يستمد البركة من الإله الواحد الأحد، ويقدم صلواته اليومية.



"أنت تشرق بجمالك يا "آتون" الحى، يا رب الأبدية.
إنك ساطع وقوى وجميل.
وحبك عظيم وكبير.
أشعتك تمد بالبصر كل واحد من مخلوقاتك.
ولونك الملتهب يجلب الحياة إلى قلوب البشر.
عندما تملأ بحبك الأرضين.
إيه أيها الإله الذى سوى نفسه بنفسه. خالق كل أرض.
وبارئ كل من عليها.
حتى الناس وكل قطعان الماشية والغزلان.
وكل الأشجار التى تنمو فوق التربة.
فإنها تحيا عندما تشرق عليها.
وأنت الأب والأم لكل من خلقته.
وعندما تشرق ، فإن عيونهم
ترى بواسطتك.



وإلى الضفة الغربية في المقابل، توجهت "إيزادورا" نحو حبيبها القابع هناك، وشغلتها عواطف الحب والنقاء، فاحتضنها النيل للأبد، بين مياهه في تلك المنطقة الدافئة، وذهبت شهيدة العشق كما يقول الدكتور طه حسين، ووقف أبوها يسجل مشاعره فوق مقبرة في ثغرة الجبل، إنه يقول في أبيات شعرية ستظل خالدة ما خلدت العواطف الإنسانية:

"فالشتاء يأتيك من ناحية بلبن أبيض وزهرة زيتون، كما يتوجك من ناحية أخرى بزهرة نرجس رقيقة جداً، والربيع يرسل إليك برحيق نحله الذى يتكاثر من نفسه، كما يبعث إليك بزهرة فواكه، هي رسول حبه.

والصيف الحار يقدم إليك شراب الإله "باخوس"، كما يهديك تاجاً من شجرة كروم.

إنهم جميعاً في حاجة إلى تلك الفروع من شجرة الكروم.

ولكنهم يقدمونها لك عن طيب خاطر، يا عروسة"



-٥-

والعروسة هى مدينة المنيا، التى تغفو فوق أجمل بقعة على النيل، وديعة رخية، تترك ذوائبها تمتد فوق النهر، تعانق شرقاً الحكمة والإيمان والوحدانية، وتعانق غرباً الحب والسلام والوفاء، وتمتد إلى كل منعطفات التاريخ. فعلى أرضها وقع خطوات العائلة المقدسة، التى استراحت فى دير العذراء، وهى فى طريقها نحو الجنوب، وفى أجوائها يتعالى صوت المؤذن فوق مسجد الفولى واللمطى والقرطبى، معلناً "الله أكبر الله أكبر" ، كأنها صيحة أخناتون تتردد فى الوادى من جديد، مبرأة تماماً من شوائب الشرك والوثنية، خالصة لدين الحنفية والوحدانية والفطرة.

-٦-

ويختلط كل ذلك التراث، بعضه فى بعض، تختلط الوحدانية مع الحب، وتختلط نسمات المسيحية مع واقعية الإسلام، ويصبح كل ذلك كتلة واحدة، وتنتهى تلك الكتلة، التى هى عصارة التاريخ، إلى شعب المنيا، فيصبح نموذجاً حياً للإيمان،

وقد اختلط بالحب والسلام والفطرة، وينطلق شاعرهم الشعبى يعبر عن كل ذلك، بشعر رقيق، ولهجة منياوية وديعة، تجعل الحب والفطرة فوق كل اعتبار، إن حسن المغنواتى يصبح شهيد العشق، وتدور قصته على كل لسان، تصور انتصار البساطة والإخلاص،أمام كل جاه ونفوذ،وإن ريس المركب يتعالى صوته فوق المياه، فيردده كل صوت فى جنبات الوادى:

طــول عمــرى ريس ع البحار.
اتقلب مع الموج وأسافر مع التيار.
الأولـــه قمـــر، والتانيــه هلال.
والتالتــه هجـــت فيـــا النـــار.

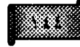
-٧-

ويرتفع صوت الكروان كل مساء وديعاً نقياً ساذجاً، ولكنه يحمل حكمة التاريخ، وعصارة الزمن، فيتسلل إلى كل القلوب، ويسلكها جميعاً فى رباط واحد، وفى مصير واحد، فتسلم نفسها لهذا الكروان، وكأنها تسلم نفسها لرب الكون، الذى يسبح له من

فى السموات ومن فى الأرض.

لقد جعل طه حسين روايته "دعاء الكروان"، تدور تحت ظل هذا الطائر، إن روايته ذات طابع مأسوى، وإن شخصياتها مسوقة نحو قدر محتوم، ولكنها تسير تحت إيقاع هذا الطائر، ففى كل منعطف من حياتها، يستدعى مؤلفها صوت الكروان "لبيك لبيك أيها الطائر العزيز، ما أحب صوتك إلى نفسى إذا جثم الليل، وهدأ الكون، ونامت الحياة، وانطلقت الأرواح فى هذا السكون المظلم، آمنة لا تخاف، صامتة لا تسمع، إن صوتك إذن لأشبه الأشياء بأن يكون صوتاً لروح من هذه الأرواح، ليذكرنى روح هذه الأخت التى شهدت مصرعها معى، فى تلك الليلة المهيبة الرهيبة".

إن صوت ذلك الطائر يتردد في كل منعطف من منعطفات الرواية، فكأنه الموسيقى التصويرية، أو كأنه عين القدر، ترقب إنسان ذلك الوادى، وقد ألقى مقاليده لمقتضيات ذلك الوادى الموروثة من أبد التاريخ.



-٨-

قالت له:

- أحبك.

- ولكنى زوج وأب.

- إن "نعيمة" لم تبال بشئ.

- ولكنى لست "حسن".

وقابلها بعد أن تزوجت، وقال لها:

- لقد قتل "حسن".

- ولكنك كنت "أشطر" من حسن، إن كهنة "آمون" قد انتصروا على ذكاء "أخناتون".

أدرك أنها تشير إلى أصله من "طيبة"، وعرف أن "المنياوية" أذكى نساء الأرض، فسأل الله الستر وحسن الخاتمة.

-٩-

المنيا برد بالليل، وحر بالنهار، تماماً مثل قريته فى جنوب الصعيد، تشتد فيها القيلولة، حتى تكاد الأرض تحترق، والحجارة

تشتعل، وتخرج الثعابين من جحورها، ويشتد أزيز الصراصير والجنادب.

ولكن عما قليل تنفجر الأزمة، وتقبل نسمات الأصيل، وتهب الرياح الشمالية، وتنبعث روائح الخزامى والحناء والعصفر، وتتراقص أشجار النخيل والدوم، ويرتفع هديل القمرى ودعاء الكروان، يرسل الناى أنغامه سلماً نحو السماء، وتصبح الأرض كلها مسجداً، وتربتها طهوراً، ويخرج الناس من بيوتهم يغنون وينشدون، أو هم يركعون ويسجدون.

وتذكر موقفاً قرأه فى رواية "موسم الهجرة إلى الشمال"، كان الموقف يدور فى صحراء بالسودان، القافلة تسير، والشمس ترسل أشعتها الحارقة، والأرض تشتعل، ويخرج الأعراب من جحورهم، كأنهم السعالى المخيفة، أو القتلة المارقون، ولكن عما قليل يتغير كل شئ، يأتى العصر، وتأتى معه النسائم العليلة، وتهدأ النفوس، ويرقص الجميع على أضواء الكاشفات التى ترسلها السيارات، ويتحول الأعراب إلى شعراء ينشدون ويرقصون، ويرسلون المواويل الخضراء، ويبتسمون للأغراب.

وقرأ معلقة عنترة من جديد، ولم يجد غرابة فى أن تحتوى

نفس عنترة على كل هذه المتناقضات، هو يحقد على الأعداء، ويرسل عليهم شواظاً من نار، وتحركه روح الانتقام والثأر،ولكن عنترة نفسه ترق مشاعره أمام عبلة، حتى يصير طفلاً، يرسل الشعر يستعطفها، ويطلب الصفح والغفران.

عندئذ أدرك صاحبنا أن المنطقة، من شرقها إلى غربها، ومن شمالها إلى جنوبها، تسيرها روح واحدة، فعزم على أن يكتب كتاباً تحت عنوان "عبقرية الصحراء".

-١٠-

ولكن العنوان قد تغير من "عبقرية الصحراء"؛ ليصبح "الوسطية العربية"، وكان هذا التغيير يعكس اتساعاً في رؤية صاحبنا، فهو لم يعد يقف عند عطاء المكان وحده، بل أضاف إليه عطاء الزمان أيضاً.

لاحظ صاحبنا أن الصحراء تقدم الشيئين معاً، ثم قرأ صاحبنا عند الطبرى، أن الوسطية تقدم الشيئين أيضاً، ولكن توازن بينهما، كما يوازن المرء بين عدلي البعير، عندئذ أدرك أن

الوسطية هى أيضاً تعبير عن عبقرية الصحراء، وهى فى الوقت نفسه تعبير عن تاريخ، قد شكل حضارة واسعة، لا تقف عند حدود المنطقة، ولكن تتجاوزها لتخاطب الإنسان فى كل مكان، وأيضاً فى كل زمان.

ومن يومها أدرك صاحبنا أن المحلية والعالمية، هما وجهان لعملة واحدة يشكلان فى اجتماعهما حضارة إنسانية مميزة وشاملة، وأن غياب أحدهما عن الآخر، يجعل من تشكيل الحضارة أمراً مخالفاً لطبائع الأشياء.

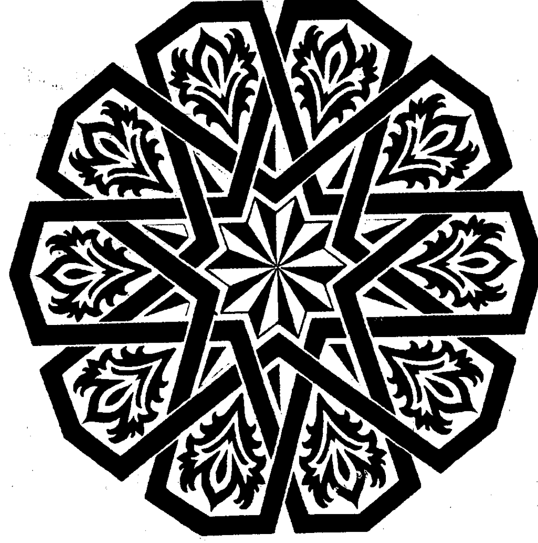
وقد آمن صاحبنا تماما، وهو على أرضه فى إقليم المنيا، أن المحلية، أو الإقليمية، ليست عيباً ولا تعصباً، ولكنها هى السبيل إلى الخصوصية والتميز والانتماء.

-١١-

لو أننى مت الآن، فما أظن أن ذكراى سوف تمحى فى المنيا، فقد تركت فيها حساماً وحفيدتى شروقاً، ولى فيها أيضاً محمد نجيب، ومراد مبروك، وجمال التلاوى، ومنير فوزى،

وحمدى بطران، وسوسن ناجى، ومحمد عبد الحكم عبد الباقى، وحسن إسماعيل، وسعيد الطواب، ومجمد عبد الحكم القاضى، وزينب فرغلى، وحافظ المغربى، وشهير الدكرورى.

وعلى أرض المنيا كانت البذور الأولى لمشروع الوسطية العربية، وعلى أرض المنيا قامت جماعة التأصيل الأدبى والفكرى.





المشهد الثالث

-١-

كانت "الوسطية" مطمورة داخلى دون أن أدرى.

-٢-

كان الأهل فى قريتى يتحدثون عن كنز مدفون بجوار الساقية المهجورة، ويقولون: إن حارسه على هيئة ديك، ولن يظهر إلا بعد أن يأتى "المغربى"، ويفتح الكتاب.

وظل ينتظر المغربى دون جدوى.

-٣-

وهو صغير فى قريته، يخرج من الترعة، ويمشى على تراب ساخن كأنه النار، فيقفز كالملدوغ.

وفى المساء تتحرك النخيل أمام بيتهم، كأنها الأطياف النورانية، ويأتيه صوت الشيخ همام يعلن الأذان، فيحس باليقين.



-٤-

كفر يكفر، بمعنى ستر يستر، وسمى الكافر بذلك؛ لأنه يخفى الفطرة ولا يبديها.

-٥-

كان أبوه متديناً، يصلى الجماعة، ويصوم رمضان، ويقرأ الأوراد، ودلائل الخيرات، وكان مزواجاً يحب النساء، وكان إذا امتلأ جيبه بالمال عقب موسم القطن، يسافر إلى مصر، ويتردد على كازينو عايدة.

-٦-

كوبرى الجلاء كان اسمه كوبرى عايدة؛ لأنه يقع مجاوراً لكازينو عايدة، ويقابله من جهة الشمال كوبرى أبو العلا، نسبة إلى الشيخ أبو العلا، شيخ بولاق، وبينهما كوبرى الزمالك، وقد أسموه الآن كوبرى ١٥ مايو، وخالتى اسمها جليلة.

-٧-

يعرفون الشعور بأنه دفقات متغيرة ومتقطعة، وإذا تكررت، فقد الإنسان الشعور، ولم يعد هناك تفكير، وخالتي اسمها جليلة، وزوجها عويضة، وابنهما حسين.

-٨-

ظلت الآثار الفرعونية مطمورة في أرض مصر، حتى اكتشفها الغرب، وقد زرت المتحف البريطاني في لندن مرات كثيرة، وشاهدت الآثار الفرعونية مكتوباً عليها Presented by Egyptian Government ، وتذكرت اللورد كرومر.

-٩-

الحدأة انقضت على الكتكوت، وأمي تولول.

-١٠-

زوج بنت خالتى اسمه زكى شمندي، كان يعمل ترجماناً، يلبس العمامة والقفطان، ويرطن بالإنجليزية كأحد أبنائها، وفى المنزل يصوم ويصلى، ولا يسمح لزوجه أن تطل من النافذة، وفى المساء يغنى مع الخواجات، ويشرب البيرة، وتأخذه الجلالة، ويلقى بالعمامة، ويتحزم بالشاش ويرقص، وفى جيبوتى تسامرت وزوجتى مع أسرة يمنية، وحينما ترى المرأة اليمنية فرنسياً، تغطى وجهها ، وتقول: الكافر وصل.

-١١-

صعيدى وصعيدية أنجبا تسعة أطفال سمر، وكان العاشر أشقر، وعيونه خضر، وعلى فراش الموت أرادت الزوجة أن تعترف بالخيانة، ولكن زوجها قال لها: "أعرف من تقصدين، إنك تقصدين الطفل الأشقر"، فأجابته بوهن "إننى أقصد التسعة السمر". وفى الخليج أنجبت الخادم الفيتنامية ابناً يشبه الرجل العربى، وفى الوقت نفسه أنجبت الزوجة ابناً يشبه سائقها الفيتنامى، فما كان من



الرجل العربى، إلا أن تصرف بشهامة، وأعطى للسائق ابنه، وأخذ هو ابنه، ثم طرد الجميع، وتزوج من أخرى على كتاب الله وسنة رسوله.

-١٢-

كان أبى يستيقظ فى الليل فزعا، ويصيح :"اللهم، لا نسألك رد القضاء، ولكن نسألك اللطف فيه". وفى الصباح يحضر المشايخ يقرأون عدة ياسين، ويرددون: يا لطيف، يا لطيف، يا لطيف، وأردد معهم حتى أنام.

-١٣-

خالتى اسمها جليلة، وزوجها عويضة، وابنهما حسين، أما المازنى، فقد سمى نفسه إبراهيم الكاتب، وأخذ يتنقل فى فنادق الأقصر والإسكندرية بين لولو وشوشو، وظل طيلة حياته يردد خيوط العنكبوت، وقبض الريح، وحصاد الهشيم.



-١٤-

المثقفون على قهوة ريش، يتجرعون البيرة، ويدخنون الشيشة، ويصدرون مجلة جاليرى، وزيطة يصنع العاهات، وحميدة تترك زقاق المدق.

-١٥-

يوسف الشارونى كتب قصة تحت عنوان "زيطة صانع العاهات"، قال فى أولها: صنع يصنع فهو صانع.

-١٦-

ومحمود تيمور كتب قصة "غانية الحانة"، ونرجس تسمى نفسها نانى، وتغنى بالإنجليزية، وعساكر الإنجليز يرشون على جسدها البيرة.

-١٧-

والبترول كان فى الأرض، ثم تحول إلى أرصدة فى البنوك الأمريكية. وسبحان الله فالق الحب والنوى. يخرج الحى من الميت، ويخرج الميت ، من الحى.

-١٨-

وبعد حرب الخليج سمى الناس الشوارع بوش. وسموا أولادهم بوش. وكلما دخل صدام على زوجه. وجد عندها "بوش".

-١٩-

جارى يسمى ابنه عبد اللطيف، وهو لا يشبهه. وفى قريتنا شيخ اسمه "النوبى"، تقصده العاقرات، ثم يرجعن منه حاملات. ويسمى الرجال أولادهم "نوبى" تبركاً.



-٢٠-

الحداد أشعل النار فى نفسه، والكاهن يحرق البخور فى المعبد، ويحيى الطاهر مات قبل الأوان، وخالتى اسمها جليلة، وزوجها عويضة، وابنهما حسين، وحفيدهما عبد المجيد، وأخى كذلك اسمه عبد المجيد.

-٢١-

جبال اليمن مليئة بالمعادن والذهب، وحين عرض الإنجليز على الإمام أن يستخرجوها رفض، وقال: دعوها محفوظة حتى يأتى الأوان.

-٢٢-

ليـلـى نهارى أقول : يارب عدلها.
فـت على شيخ عالم يقرا فى معادلها.
سنـد الكتب من إيده اليمين وقال:
اصبر شوية على الوعد، وربك يعدلها.



-٢٣-

أول مرة يفكر في "الوسطية" كانت، وهو طالب في دار العلوم، وكان الدكتور غنيمي هلال قد عاد لتوه من فرنسا، وقرأت كتابه "الرومانتيكية"، وأحسست أنني غريب.

تحدثت عن غربتي مع يحيى حقي، فلاذ بالصمت، وتربع على الكنبة، وكان ذلك في ٢٧ شارع عبد الخالق ثروت، وكان وقتها رئيساً لتحرير مجلة "المجلة".

-٢٤-

يحيى حقي يعود بإسماعيل من لندن، ويفتح له عيادة، ويجعله ذا كرش، ويزوجه النساء، فينجب البنين والبنات، ولم يكن يعجبني كرش إسماعيل، وكان أبي رحمه الله مزواجاً يحب النساء، وكذلك كان إسماعيل.

-٢٥-

قال لقمان لابنه، وهو يعظه.

وظل يقول ويقول، ثم نظر أمامه، فلم يجد ابنه، فلملم أوراقه، وغادر الغرفة.

-٢٦-

إبراهيم عياد كان يسوق الحمير، ثم أصبح "عياد بك" يخشاه الناس، ويقصون قصته مع النمساوية، ويقولون إنها أحبته وتزوجته، ومنحته المال، ويتهامسون بأنه منحها الولد والآثار.

-٢٧-

يتحدث فخر الدين الرازى عن الفجر الصادق، ويراه بسبب أشعة الشمس التى لم تظهر بعد، أما الفجر الكاذب، فهو بلا سبب، عمود من نور سرعان ما يرتد.

-٢٨-

النافقاء تعيش فى الجحر. ومنها اشتق النفاق.

-٢٩-

كان فى القرية رجل يتبرك به الناس، يسير مساء على الجسر، ويصيح: أهو جاى، أهو جاى، ولم يعرف صاحبنا من هو الذى سيجئ، ولكنه كان يتبرك بالرجل، كما يتبرك به أهل القرية.

-٣٠-

وجدت فى عنترة صورة من أبى، طيب يحب عبلة، ويحب الغزل، وهو شجاع يفتك بالأعداء، ووجه أبى مثل وجه الملك عبد العزيز، كان وجهه طيبا، وعليه بعض الأخاديد، والوسطية مطمورة فى داخلى ولا أدرى.

-٣١-

مصطفى السعيد مصاب بمرض نفسي، لا شفاء منه كالإيدز، عدوى من النساء الإنجليزيات، ولم يعرف الطبيب صالح العلاج، فألقى به في تيارات النيل، ومحمد مستجاب يخنق كلب آل مستجاب، وعبد الحكيم قاسم يحملق في الشعيرات الحمراء بين فخذي المرأة الألمانية، ويقول: هذا قدر الغرف المقبضة.

-٣٢-

عبد الناصر يصيح في ميدان المنشية: إذا مات عبد الناصر، فكلكم عبد الناصر، وتذكرت نفسي، وأنا عائد من الترعة، خائفاً من أبي، أحاول أن أجفف قميصي على أشعة الشمس الحارقة، وأتوسل إلى القميص، وأقول: انشف يا قميص، أحسن أبويا يضربني، والعجل ينطحني، وأمي ما تحوشه عني.

وكان الجد في قصص يحيى الطاهر عبد الله يبدو كإله الحرب عند الرومان، وجهه بشع، وتحيط به أشعة النيران، وبجواره حراب القتال.



-٣٣-

قرأت قصة فى صغرى هزتنى، لا أتذكر منها إلا عصفوراً صغيراً، قد تفتت إلى أجزاء، ثم تحول بقدرة قادرة إلى عصفور أخضر يزقزق فى الجنة. ولا تزال أوزوريس تبحث عن إيزيس.

-٣٤-

رأى أحد الولاة فى منامه زرعاً أخضر يحيط به من كل جانب، فاستدعى ابن سيرين للتعبير عن رؤياه.

أخرج ابن سيرين المندل، وفتح الكتاب، وفك السطور، ثم سكت قال الوالى:

- قل.

- ولى الأمان؟

- نعم.

- معناه ياسيدى أنك طول عمرك بقر الله فى برسيمه.

وطارت رقبة ابن سيرين، وخالتى اسمها جليلة، وزوجها عويضة ، وابنهما حسين، وأحب جبنة البقرة الضاحكة، وأقرأ



كافوريات المتنبى، وألعن زمنى.

-٣٥-

كنت خارجا لتوى من مجلة الرسالة، ومعى عبده بدوى، وعبرنا شارع عبد الخالق ثروت، ولمحنا لويس عوض قاصداً جريدة الأهرام، بسرعة اختبأ عبده بدوى فى حنية من الشارع، كان مرعوباً من الرجل كما القط والفأر.

كان عبده بدوى ينشر هجوم الشيخ شاكر على لويس عوض، وكان لويس عوض ينشر على صفحات الأهرام هجومه على أبى العلاء المعرى. وبين القط والفأر، ضاعت الوسطية، يا أولاد الحلال.

-٣٦-

بدأت الوسطية مع صيحة طفلى الأول حسام، وأنهيتها مع صيحة حفيدتى الأولى شروق، ثلاثون عاماً وتزيد، وأنا أصرخ ولا مجيب، وتلوت الآية الكريمة "لا تحرك به لسانك لتعجل به، إن

علينا جمعه وقرآنه".

-٣٧-

كان الناس في قريتي ينتظرون ليلة السابع والعشرين من رمضان. ويقولون: إن طاقة من السماء تفتح في تلك الليلة، ويخرج منها نور، من صادفها أجيبت دعوته، وكانوا يحذروننا من الخوف. فإن نورها قد يغشي الأبصار، وقد يجعل الشخص ينسى، فيتلجلج، أو يطلب خلاف ما يريد.

حدثتني أختي باتعه، رحمها الله، أنها قد رأت ليلة هذا النور، ولكن أحيط بها، ونسيت كل شئ.

وحدثني يونان عجايبي، وهو يضحك بأن جد "المقارن" فتحت له طاقة القدر، فأراد أن يقول: يارب، أعطني بقرا بلا مقارن[1]. ولكنه نسي، وقال: يارب أعطني مقارن بلا بقر، ثم أصبح الصباح، ووجد الدار قد ملئت بالمقارن ولا بقر. ومن يومها توارثت العائلة هذا اللقب، وسموا بالمقارن.

---

(١) المقرن: يطلقه أهل الصعيد على الحبل الذي يجر البقرة.



-٣٨-

وفتحت لى طاقة القدر ذات ليلة، وأنا أحشد نفسى حتى لا أنسى الدعاء، وأتذكر تحذيرات الأهل والجيران، ولكن النور قد غشينى، وفقدت رباطة الجأش، فقلت نصف الدعاء، ونسيت النصف الآخر، فأصبحت، وقد أعطانى الله الوسطية بسبب جبنى، ملفوفة فى كتاب، ولم يعطنى معها سيفاً، ومن يومها ، وأنا أدعو وأردد هذا الدعاء:

يارب، لا تورث الجبن أحداً من ذريتى بعدى، فالشجاع قد يقتل بيد غيره مرة واحدة، أما الجبان، فهو يقتل بيد نفسه كل يوم.

-٣٩-

أخذتنى سنة من النوم، فرأيت "أريج"، تفتح الباب بلهوجة، وهى تصيح:

-بابا، أنا خلصت الرواية.

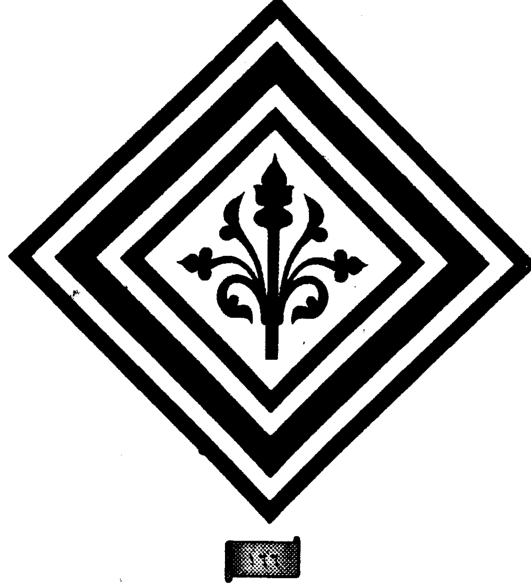
أخذت أقرأ، وأكتشف عالماً جديداً يشق طريقه، كما النبتة الزكية، وأحسست بين السطور ببهجة لم أذقها طيلة حياتى، هزتنى



النشوة حتى أيقظتني.

-٤٠-

كـان القطـار يشـق قلـب الليـل، والشـواهد تـتراجع كمـا الأعمدة السـود، وبسـرعة قفـزت مـن النـافذة، وتشـبثت بالشـاهد الأخير.



الشاهد الأخير

الوصية

-١-

أخذ ملك الموت يحوم حول النافذة، كان يبدو كعصفور الجنة، زاهياً، ووديعاً، وملوناً.

تبسمت إليه ودعوته، فتحول إلى شاب صغير، جميل المحيا، حسن المبسم، عذب الحديث، جلس بجانبي على السرير وقال:

- لماذا دعوتني؟

- إني أريد أن أغادرها، فقد عشت فيها ما عشت، ولم أفهم منها شيئاً، وكافحت فيها ما كافحت، ولم أقبض منها على شئ.

طار، طرت وراءه، اخترق أجواز السحب، حتى وصل إلى البوابة الكبرى، بادره الحارس:

- من؟

- عزرائيل.

- من معك؟

- عبد الحميد بن نفيسة.

- قل له: يرجع فما زالت ورقته تقاوم الريح، وقل له:

مكتوب فى صحائف أعماله، أنه أضاع الكثير بسبب استعجاله، وقل له: هل تريد أن تضيع آخرتك أيضاً بسبب تهورك؟

رجته هذه الجملة الأخيرة، حتى نبهته، فصاح:

- رباه، قد نسيت الوصية.

أمسكت بالوصية، طرت نحو السماء، أعرف طريقى جيداً ولا أحتاج إلى دليل، وصلت، فرحت، خبطت على البوابة الكبرى، برز لى الحارس، وقال:

- ها أنت قد عدت من جديد.

- ها هى الوصية، خذها، اقراها، استراح الآن بالى، قلت كل ما عندى، واطمأن قلبى على أولادى من بعدى.

قرأها، كان مكتوباً عليها "المرشد الأمين فى وصايا البنات والبنين"، تفرس فىّ، ثم قال بصوت كأنه الرعد يأتى من كل مكان:

- أما تعرف أن حب الأولاد والأحفاد نوع من حب الذات، مكتوب فى ورقتك أنك طيلة عمرك مشغول بتدعيم الذات، تقرأ، تسافر، تكتب، تناقش، تحصل على الشهادات، تحصل على الميداليات، وهدفك الأول هو تدعيم فى الجامعة، فى

العمل، أما تعرف أن الاهتمام بالذات هو تعبير آخر عن فقدان الذات؟ لو أنك عشت طفولة سعيدة، ولاقيت الاهتمام من حولك، لما شغلت بنفسك كثيرا.

تغير صوته، ثم قال، وهو ينظر إلى الأفق المترامي، كأنه يخاطب إنساناً مجهولاً:

- يا أيها الإنسان، أما تعرف أن الذين يستحقون الخلود، هم من يخرجون عن ذاتهم، ويضحون بأنفسهم وأموالهم وأولادهم وأحفادهم من أجل مبدأ، يصيرون فيه جزءاً من الكل؟ يا أيها الإنسان كم تخدع نفسك حتى اللحظة الأخيرة.

قلت له واهنا:

- ولكني كتبت الوسطية، قضيت فيها الليالي، من أجل مبدأ يهم الكل.

قال لي:

- ولكنك لم تحمل السيف من أجل ما كتبت.

قلت له:

- كانت اللحظة عمياء هوجاء، اختلطت على جيلنا، فلم نميز الصديق من العدو، ولا الحمل من الذئب، ولا الصحيح من

المزيف، حتى خيل لى فى ساعة يأس أن الاستشهاد نوع من الانتحار.

نظر مستفسراً، فواصلت حديثى:

- هذا الأهوج ذو الأنف المعقوف، كان يرتفع فوق جثث الشهداء، ويبنى منها صرحاً يطاول به السماء، وهذا العلج السمين، انظر إلى حمرة خديه، إنه يمتص الدماء.

نظر إلىّ مستغرباً، فواصلت حديثى دون خوف:

-هل سمعت بقصص البنات اللاتى يغمى عليهن، فى مدارس البحيرة، دون سبب مفهوم، إن هذا العلج السمين يتحول فى غبش المساء إلى خفاش أسود، يتسلل إلى مخادعهن، يمتص دماءهن قطرة قطرة، حتى يغمى عليهن، وغداً يمتص دماء الصبيان، وبعد غد يمتص دماء الرجال والنساءً، حتى تتحول المدينة كلها إلى مدينة الأموات، ويصبح الرجال والنساء جميعاً كالفتيات الممصوصات، هل قرأت مسرحية "الذباب"؟

هز رأسه مستفسراً، فواصلت حديثى:

- زعم سارتر أن مدينة أحاط بها الذباب من كل جانب، وأن أهلها فى كل مساء يلجأون إلى مضاجعهم، ينتظرون الأموات

من أهليهم لكى يضاجعوهم، كانت المرأة تتشنج وتتأوه على فراشها، ويصيبها خدر كالإغماء، تنتظر زوجها من العالم الآخر، يدخل عليها كالهواء الخفيف، يحرك الستارة، وتتلقفه الزوجة مفتوحة الذراعين، كان الحاكم يحتفل بهذه الطقوس،ويقيم الأعياد والأفراح. ويأمر الناس بأن يستعدوا للقاء الأموات، واستراح الناس إلى هذا، وأصبح الذباب جزءاً من حياتهم، يلتقون بالأموات، ويحسون بالخدر الشديد كهذا الخدر الذى تحس به الفتاة الصغيرة. حين تسلم رقبتها إلى العلج السمين، يمتص دماءها دون أن تراه... لولا أن ظهر بينهم الفتى أوريست، طرد الذباب، وطرد الأموات، وخلص الناس من الإغماء... ثم...

– كف عن الثرثرة، لقد أوتيت فصاحة سحبان، ولم تؤت شجاعة أوريست.

أجبته محتداً:

– قلت لك: كانت اللحظة عمياء، والخفافيش تملأ كل مكان، تلعق دماء الفتيات والفتيان، قلت لك: إن الاستشهاد يومها كان نوعاً من الانتحار حرمه الله، لقد حذرتنى من أن أخسر آخرتى.

أصابنى الإعياء، ولكننى استمسكت بالرمق الأخير، وقلت فى صوت بدا أقوى من كيانى، وكأنه الدعاء الأخير يردده معى ألف جوقة من الشهداء والصالحين:

- عسى الله أن يخرج من صلبى، من يحمل عنى عبء قضيتى.

هزه هذا الدعاء، فرق ولان، وتناول قلماً، وكتب فى الوصية حاشية: نلتمس الصفح والغفران، فقد يخرج الله من صلبه من يحمل عبء قضيته.

ثم ختمها ووضعها فى قرطاس، ألقى به فى رحم الغيب.

-٢-

خرجت من الدنيا،ولى ابن وابنة، ما إن يجتمعا حتى يختلفا.

أحدهما حسام، عملى، يحول الحلم إلى واقع، أودعه "رسالة الغفران"، يستخرجها من بين الأوراق المطوية فى كتاب "حلم ليلة القدر"، فقد تهطل السحب فى عصره، ويحقق الشاهد



الذى لم يستطع أن يحققه أبوه.

أى بنى، إن فيك قوة، وإن الرحمة هى عنصر من عناصر القوة، والقوة وحدها دون رحمة خطأ في الطبيعة، ينذر بكارثة أو زلزال.

أما الأخرى ، فهى أريج،تملك طبيعة فنان، يحيل الواقع إلى حلم، أذكرها بأن تقرأ بين الحين والحين "رسالة الغفران"، فقد تبدل الأرض غير الأرض، وترى حلمها يسعى على الأرض، بين الناس ومع الناس.

أى بنيتى، لقد أودعك الله الكثير من الكنوز، ولو طال تكتمها، لأصابها الصدأ، وأكلتها الأرضة.

أى بنيتى، إن فيك رقة، وإن الرقة هى صفة من صفات الملائكة، تظل معلقة فى السماء،حتى يهيئ الله لها من يجذبها نحو الأرض.

أى بنيتى، من ليس فيه خير لنفسه، ليس فيه خير لغيره، ومن يظلم نفسه أجدر بأن يظلمه غيره.

أى بنى ... أى بنيتى!

ليس عيباً أن تختلفا،فجمال قوس قزح فى اختلاف ألوانه،

ولكن العيب كل العيب أن تختصما، خينئذ يتمزق جسد أبيكما إرباً، يقتات بعضه على فتات البعض، حتى يتلاشى ويفنى.

أي بني ... أي بنيتي!

أنتما بعض من أبيكما، حسام بعض ، وأريج بعض، ويوم أن يتجمع هذا البعض تحدث المعجزة، فيصير الحلم واقعاً، ويصير الواقع حلماً، ويسرى ماء الحياة في جسد أبيكما، ويهب واقفاً كأنه أوزوريس.

حينئذ وحينئذ فقط، تهنأ روح أبيكما. وتهنأ أيضاً تلك الروح التي تقف بجواره، روح أمكما العظيمة، التي لن أرضى عنها بالحور العين بديلاً.



شاهد ... لما يتحقق

-١-

كان العام عام حزن، توفيت فيه زوج النبى، ولحق بها عمه أبو طالب، وتكاثر عليه المعاندون.

أتاه جبريل ذات مساء، وصعد به نحو السماء، ثم عاد طاهر النفس قوياً، لا يبالى بالمعاندين.

صدقه الصحابة فى كل ما روى، والتفوا حوله، فازداد يقينه.

-٢-

وقد عاد صاحبنا من حلمه فى ليلة القدر، يحمل فى يمينه "رسالة الغفران".

كانت الرسالة تدعوه إلى أن يحقق أسماء الله الحسنى بين الناس ومع الناس:

الله رحيم، فكن أنت رحيماً ... وهو قوى، فكن أيضاً قوياً
الله غفور، فكن أنت غفوراً ... وهو متين، فكن أيضاً متيناً
الله سلام، فكن أنت سلاماً ... وهو قدير فكن أيضاً قديراً
الله ودود، فكن أنت ودوداً ... وهو منتقم، فكن أيضاً منتقماً

ولكن الناس يتناكحون ويتناسلون، ولا شئ وراء ذلك يبغون.

-٣-

ويشهد صاحبنا أنه ما قصر.

منذ طفولته، وهو يرنو إلى أن يحقق شيئاً بين الناس ومع الناس.

حفظ القرآن الكريم، وهو فى السنوات الأولى من عمره.

وامتص ثقافة الأولين، وهو غض غرير.

وأتقن لغة أجنبية، وهو شاب صغير.

وسافر إلى معظم أنحاء الدنيا.

وشاهد المتاحف، واستمع إلى الموسيقى.

وعانى وجرب.

ثم عاد ليؤدى رسالته، فوجد العصر غير العصر.

والقوم غير القوم.

وجد الأغبياء يتصدرون، والأدعياء يتصايحون.



-٤-

أتاه فى منامه ملاك، يأخذ بيده ليصعد به فى رحلة نحو السماء، فولاه ظهره، وامتدت يده تحت الوسادة، يلتمس المصحف الشريف، يتلو فيه ما تيسر من سورة الزلزلة.

-٥-

كان جيلنا متطلعاً، نجلس على قهوة ريش، نتحاور، نتخاصم، نمتص القهوة، نمضغ القضايا الكبيرة، نقرأ "البكاء بين يدى زرقاء اليمامة" ؛ لنمسح بها أحزان النكسة، ونقرأ "الكعكة الحجرية"؛ لنستثير بها الشباب، وهم يتصايحون حول الشاهد الناقص فى ميدان التحرير.

كنا مجموعة من الأصدقاء: أمل دنقل، يحيى الطاهر عبد الله، زهير الشايب، ضياء الشرقاوى، فتحى سعيد، أنس داود ، على شلش، جمال الغيطانى، عبد العال الحمامصى، إبراهيم أصلان، محمد البساطى، عبده جبير، محمد مستجاب، بهاء طاهر، محمد جبريل، وإبراهيم عبد المجيد.

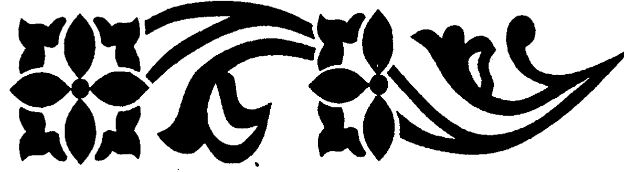


من مات منا ، فهو أحسن حظاً، فقد مات، وهو لا يزال يحتفظ بأحلامه، أما من بقى، فهو يستعجل الرحيل. فقد تهاوت أحلامه، وتهاوى معها الشاهد الأخير فى ميدان التحرير.

-٦-

نظر نحو السماء، لم يجدها هذه المرة صامتة، ولم يرتد إليه بصره خاسئاً، وهو حسير، وجد مجموعة من السحب تتصادم وتتجمع.

كانت سحباً سوداً، تنتظر الإذن بأن تهطل على القوم.





الحياة الأخرى

-١-

كان حلمه فى الشاهد الأول، يشق لنفسه طريقاً، داخل نفق طويل، يفضى به إلى فتحة من نور، وقد جلس بجانبها أخوه عبد الرحمن يبتسم، ويمد إليه يده.

أما حلمه فى الشاهد الأخير، فهو طريق ملئ بالحصى والحفر، والطين الناشف، الذى يتكون عادة عقب الفيضان، كان الطريق أسفل الجسر الترابى الممهد، مكان الترعة الصغيرة التى انحسر عنها الماء، كان يحمل فوق كتفه حملة، يقطع بها الطريق، ويلهث، ويرتفع فوق نتوء"، ليهبط إلى منحدر، بينما كان أخوه على الجانب الأعلى، يقطع الجسر الترابى الممهد، ولا يحمل على كتفه شيئاً، ويبتسم فى شماتة.

ثم دفع اللحاف بيده، وارتفع فوق سريره، وصاح:

- أتلك هى نهاية الرحلة، يا لضيعة العمر، إن لم تكن هناك آخرة.

-٢-

الوقت ضبابى، واللون رمادى، والشخصيات حائلة لا تبين، كأنها فى دغل من حقول الذرة، وكان الحلم قبيل الفجر.

مجموعة من الأصدقاء الراحلين، ممن سبقونا إلى الدار الآخرة، أتعرف من بينهم على أنس داود، ومحمود العزب، ويحيى الطاهر، وعبد الرحيم منصور.

يدخل علينا الحسانى عبد الله، فى لون مخطوف، وثياب مدخنة، يدافع عن قضيته، ويصيح بأنه مظلوم، ومحتاج للمساعدة.

تمتد الأيدى إلى الجيوب، وتخرج بما لا يزيد عن ربع جنيه، أما أنا ، فقد أخرجت له عشرة جنيهات كاملة، وأخبرته بأننى سأقف بجانبه.

انصرف، وقمت لأودعه، وعند الباب قال لى:

- على فكرة، أنا شفت صورة ابنك حسام فى المجلة.

بسط المجلة أمامى، كان صورة حسام فى منتصف الصفحة، وهو ينظر إلى أعلى، وتحتها مكتوب:

"حسام يقفز، وأبوه يضحك".



عندئذ انسللت من النوم، كما تنسل السمكة من خيوط شبكة، ورأيت فلول الظلام ترتد مولية أمام أشعة الفجر الصادق.

-٣-

أحس فى نفسه شيئاً من هذا الحلم، كان كمن يريد أن يبز أقرانه، ويتيه عليهم بماله، وعرف أن الدنيا لا تزال عالقة بقلبه.

أوى إلى فراشه مبكراً، عسى أن يأتيه الحلم الذى انتظره طويلاً . كأن ملاكاً يهبط من السماء، يصفق بأجنحته مثنى وثلاث ورباع، اقترب منه، شق صدره، انتزع علقة سوداء مرة، ثم طوح بها بعيداً.

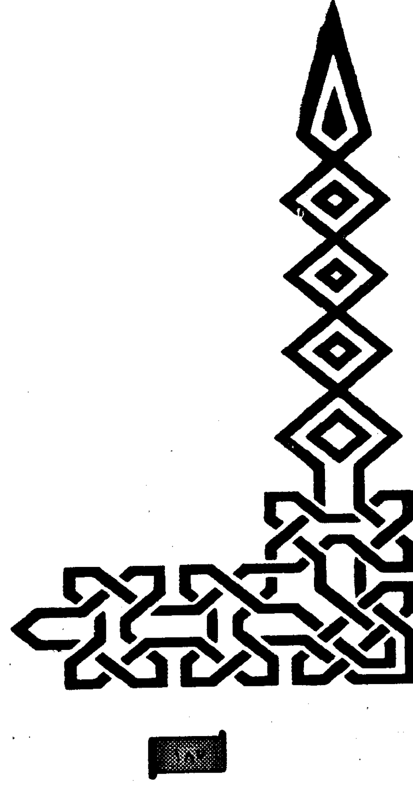
استيقظ من نومه، وقلبه يغرد بين جنبيه، كعصفور وليد.

-٤-

سمع إسرافيل ينفخ فى الصور نفخته الثانية، وتناهى إليه صوت ملاك يقرأ من سورة "الزمر":



"ثم نفخ فيه أخرى، فإذا هم قيام ينظرون. وأشرقت الأرض بنور ربها، ووضع الكتاب، وجئ بالنبيين والشهداء،وقضى بينهم بالحق، وهم لا يظلمون".



المحتويات



كتاب الوسطية
صدرت منه الأعداد التالية

١-الرواية العربية والبحث عن جذور

د.عبد الحميد إبراهيم.

٢-أجيـــال من الإبداع

زينب العسال.

٣-الإبـــــــداع

د.عبد الستار إبراهيم.

٤-البيــــــت الكبير

د.عبد الحميد إبراهيم.

٥-بلوغ الغاية فى نقد القصة والرواية

د.سيد قطب.



٦-رغبة امرأة ومسرحية أخرى

عبد اللطيف دربالة.

٧-الجنون بين الحقيقة والخيال

د.محمد حسن غانم.

٨-ملحمة الفضاء الكبرى..رواية أنصاف البشر

د.حسام عبد الحميد الزمبيلى.

٩-شواهد ومشاهد

د.عبد الحميد إبراهيم

١٠-خيول الصدق

علــى خبيــــشى

إصدارات جماعة الوسطية

١-الرواية العربية والبحث عن شكل

د.عبد الحميد إبراهيم.

٢-حوار مع الدكتور عبد الحميد إبراهيم ج١

مجموعة من الكتاب والمفكرين.

٣-حوار مع الدكتور عبد الحميد إبراهيم ج٢

مجموعة من الكتاب والمفكرين.

٤-فتاة بلا ذاكرة

زينب على عامر.

٥-فى صالون الوسطية ج١

جمال العسكرى.

٦-نفحات ونغمات

زينب على عامر.

من مؤلفات

الأستاذ الدكتور عبد الحميد إبراهيم

* قصص الحب العربية: (الطبعة الأولى سنة ١٩٦٦م-الطبعة الثانية سنة ١٩٨٨).
* من قصص العرب: (الطبعة الأولى سنة ١٩٦٧م).
* قصص العشاق النثرية: دراسة فى التراث القصصى (الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢-الطبعة الثانية سنة ١٩٨٨م).
* القصة المصرية وصورة المجتمع الحديث: (الطبعة الأولى سنة ١٩٧٣).
* الأدب وتجربة العبث: (الطبعة الأولى سنة ١٩٧٣م).
* القصة اليمنية المعاصرة: (الطبعة الأولى سنة ١٩٧٧م-الطبعة الثانية سنة ١٩٨٦م).
* ألوان من القصة اليمنية المعاصرة: (الطبعة الأولى سنة ١٩٨١م-الطبعة الثانية سنة ١٩٨٨م).
* الوسطية العربية: (٩أجزاء)

- الكتاب الأول: المذهب (الطبعة الأولى سنة ١٩٧٩-الطبعة الثالثة ١٩٩٠م).

- الكتاب الثاني: التطبيق (الطبعة الأولى سنة ١٩٧٩-الطبعة الثانية ١٩٨٦م).

- الكتاب الثالث: نحو وسطية معاصرة (الطبعة الأولى سنة ١٩٩١م).

- الكتاب الرابع: نحو رواية عربية (الطبعة الأولى سنة ١٩٩٥م).

- الكتاب الخامس: حلم ليلة قدر (الطبعة الأولى سنة ١٩٩٥م).

- الكتاب السادس: القرآن الكريم ومذهب الوسطية (تحت الطبع).

- الكتاب السابع: مسرح الحكيم بين الوسطية والتعادلية (تحت الطبع).

- الكتاب الثامن: ثلاثية نجيب محفوظ بين التوفيقية والوسطية(تحت الطبع).

- الكتاب التاسع: على هامش الوسطية العربية (تحت الطبع).

* المسرح المصرى بين ثلاثة أجيال: (الطبعة الأولى سنة ١٩٨٢م).

* القصة القصيرة فى الستينيات: (الطبعة الأولى سنة ١٩٨٢-الطبعة الثانية سنة ١٩٨٨م).

* القصة القصيرة فى السبعينيات: (الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤-الطبعة الثانية سنة ١٩٨٧م).

* لقطات: آلان روب جرييه: (ترجمة) (الطبعة الأولى سنة ١٩٨٥م).

* الرعشة الأولى وهؤلاء الأدباء: (الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦-الطبعة الثالثة

سنة ١٩٩٤م).

* مقالات في النقد الأدبي: (١٥ جزء) (الجزء الأول سنة ١٩٨٨م). الجزء الخامس عشر: (تحت الطبع).

* قاموس الألوان عند العرب: (الطبعة الأولى سنة ١٩٨٩-الطبعة الثانية سنة ١٩٩٨م).

* نقاد الحداثة وموت القارئ: (الطبعة الأولى سنة ١٩٩٥م).

* الرواية العربية والبحث عن شكل: (الطبعة الأولى سنة ١٩٩٦م-الطبعة الثانية سنة ١٩٩٨م).

* حوار مع الدكتور عبد الحميد إبراهيم :

* الجزء الأول: سنة ١٩٩٦م.

* الجزء الثاني: سنة ١٩٩٦م.

* الجزء الثالث: (تحت الطبع).

* الأدب المقارن من منظور الأدب العربي: (الطبعة الأولى سنة ١٩٩٦م-الطبعة الثانية سنة ١٩٩٧م).

* شواهد ومشاهد: (الطبعة الأولى سنة ١٩٩٦م - الطبعة الثانية ٢٠٠١) .

* الرواية العربية والبحث عن جذور: (الطبعة الأولى سنة ١٩٨٩م).

* نوادر الحب والحكمة: سلسلة من تراثنا القصصي، العدد الأول: (الطبعة

الأولى سنة ١٩٩٨م).

* القصة القصيرة والبحث عن شكل .

* البيت الكبير وقصص أخرى: (الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨م).

* التراث القصصى عند العرب: (تحت الطبع).

* قال لقمان لابنه: الجزء الأول (تحت الطبع).

* العرب وعلوم الجمال: (تحت الطبع).

* نجيب محفوظ والفن الروائى: (تحت الطبع).

* القصة القصيرة وظاهرة العبث: نماذج من الأدب العالمى: (ترجمة) (تحت الطبع).

* على هامش القصة اليمنية المعاصرة: (تحت الطبع).

* أوراق طه حسين: سبعة أجزاء (تحت الطبع).

***

رقم الايداع : ٩٦/٩٣٩٣